طه عبد المنعم

٣ تمارين كتابة لميلان كونديرا

قصص

روافد للنشر والتوزيع

ثلاثة تمارين كتابة لميلان كونديرا

عبد المنعم، طه

ثلاثة تمارين كتابة لميلان كونديرا/ طه عبد المنعم

روافد للنشر والتوزيع. ٢٠١٤ ط ١، القاهرة

٩٨ ص ؛ ٢١ سم

-قصص

٢ -العنوان

أ — المؤلف

رقم التصنيف: ٨١٣

رقم الإيداع ٢٠١٣/١٦٦٤٩

الترقيم الدولي ٥- ٩٧- ٦٣٧٠ -٩٧٧-٩٧٨ :I.S.B.N.

جميع الحقوق محفوظة للناشر

روافد للنشر والتوزيع

تليفون ٠١٢٢٢٣٥٠٧١

rwafead@gmail.com

www.rwafead.com

تصميم الغلاف: غادة خليفة

الإخراج الداخلي: أحمد عبد المقصود

ثلاثة تمارين كتابة لميلان كونديرا

مجموعة قصصية

طه عبد المنعم

إلى أجمل وأحلى قوة داعمة في حياتى

إلى شرين

"حين أثقل الكلمة بمثل هذا الكم من المعانى،
فدائما ما أعطيها أجرًا إضافيًا"

همطى دمطى

طبعا لن تعثر على الوضع المثالي للقراءة أبدًا

إيتالو كالفينو

عني

أبي

أنا من سكان المدن، ولكنى تخيلت أبي راكبًا قاربًا في النيل، تصورته في منطقة عريضة بالكاد؛ حتى أني كنت ألمح شاطئها الآخر. كنت كلما فعلت شيئًا جديدًا يمتدحونني عليه فأقول: "علمني أبي أن أفعل ذلك" لم أكن دقيقًا تمامًا، فلم أكن أعرف متى أو كيف علمني أبي ذلك، وأعتقد أني لو عرفت ما كنت سأقول قولي ذاك عفويًا ودون قصد. كان يبدو لي، وللآخرين، أنه يهتم بنا على الدوام، ولكن كيف وهو في ذاك القارب منذ علا الشارب فمي. ألم يكن ينوى أن يرسو على الشاطئ الآخر، ماذا لو فعل؟ هل كنت سأظل هنا أم ألحق به إلى هناك. هل هناك هو الأمان. بعدما ركب القارب منيت نفسى طويلاً أنى سأتولى الأمور مكانه، لكن لم تتح لى الفرصة، كانت جملة "كان أبوك يفعل ذلك" تلاحقني. رغم الخوف عليه ومنه- في بعض الأحيان- أحسست معه بالمحبة والاحترام. عندما أنظر إلى الماضى، لا أتذكر غير قوته في مواجهة الآخرين، لا أتذكر شيئًا عني معه؛ آلمني ذلك. المشكلة في قتل الماضي أنك تميت خيره قبل شره. توقفت عن النظر إلى الماضي، واكتفيت بالجلوس على الشاطئ، لمراقبة الشاطئ الآخر والقارب.

أمي

انفصلت عن أمي. دَخَلت في غيبوبة، أو من الممكن أن أكون أنا الذي دخل فيها. غيبوبة طويلة. الى الآن لم أعد أعرف متى بدأت. أحدنا تخشب على سرير بملاءات بيضاء، لا يشعر بالآخر. لابد وأن هناك حادثة قويه أدخلتنا في الغيبوبة. لا أذكرها. فأنا لا أذكر إلا صورًا غائمة، كنا فيها سعداء، أنعم بالأمومة -بشكل طبيعي كالأبناء كافة — أو على الأصح تحتوينى عائلة سعيدة. أخواتي البنات يعتنين بها، ويتناوبن قضاء الليل معها، لكني لا أحب الملاءات البيضاء؛ فهى تبرق فى الليل، فانتقيت ملاءات ملونة مزركَشة، ومنعت أي شخص من السهر علىّ. فجأة سألتنى صديقة، ليس فجأة تمامًا، إنما حولت حمى حديثها معى إلى سؤال بارد عن أمي (التي لا تعرفها بالمناسبة): ما الذى حدث لكل ذلك؟ (تقصد انفعالى على أمي)، شعرت وقتها أنه يجب أن أبحث عن إجابة حقيقية، بدلاً عن تلك الإجابة: "لا أذكر التى أُسَكِّنُ بها نفسي في ألم الغيبوبة. بعد فترة توصلت إلى أن إجابة هذا السؤال ليست مهمة؛ أنا الآن في جميع الأحوال أشعر براحة، راحة المستقل عن أي ضغط عاطفي.

عني

الحدود.. تلك الأرض التي لا تخص أحدًا.. الأرض التي لا يمتلكها أحد.. أرض الكتابة بعيدًا عن البحر وشاطئه، والغيبوبة بسريرها. تستطيع صنع شخصيات تتحرك وتأكل وتشرب.. تملأ الحدود، تملأ الحدود بين الواقع والخيال، يكفي لكي تكون قوية وغير قابلة للنسيان أن تغطي فضاء المكان والزمان الذي وضعتها فيه. عندما أدركت سيطرتي هذه، قررت أن أكون كاتبًا. "فوجدت نفسي هكذا.. وقد مس المجاز حقيقتي وليس يهمني من عالمي غيري. هذا أنا، لا شئ أكثر أو أقل، الآخرين الآخرين وشأنهم وأنا ما شئت، لا شيء هنا أختصه غيري وأرسمه على وجهي ليكون لوحة للآخرين حتى أبني حدودي.

---

[1] كلمات من قصيدة للشاعر أحمد زكريا

ثلاثة تمارين كتابة لميلان كونديرا

طَرَق الباب قردٌ؛ وكعادتي فى استقبال الغرباء لم أفتح، إلا عندما أكَّد لى أن اسمه ميلان كونديرا. طرق الباب بكل تهذيب ممكن، في بطءٍ وهدوء، عندما فتحتُ الباب ودخل ذكَّرنى شكله برسومات إيغون شيلى، فارتحت له. كنت ما أزال محتفظًا بنصف زجاجة "بلانتين"، وخمنت أن قردًا لن يرفض ضيافتي ببضع كؤوس من سكوتش اسكتلندي.

أسترجع لحظات استقبالى للقرد، واقفًا فوق سطح بناية صامدة بلا مبرر، كانت الجملة التى قلتها وسمعها الكل فيما عداى :"نصف حالات الفشل في العالم أتت من بشر كانوا يؤمنون حقا بأنهم يستطيعون أن يحركوا الماء الآسن بقذفة حجر بعدها تحرَّك الكل فى حشود، حتى ظننتها مظاهرة، بسرعة غريبة لملموا الجدران والحوائط، بعضهم تكلموا بإشاراتٍ غير مفهومة ثم طووا الموائد والكراسي كهياكل ورقية، أحدهم لم يجد جوالاً يضع فيه الكعكة الحجرية فابتلعها، مر علي وقال بسعادة بالغة :"برافو طه، كنت رائع، فِركش يا جماعة"

أقف فى العراء، ويد القرد تمتد لتصافحني، فأطير فى ثقب لولبي لأدخل معه فى عالم كعوالم حرب النجوم، كان كل شيء ساكنًا حينما دخلنا، فجأة دبَّت الحياة فى أوصال الروبوتات البشرية والدمى المجسمة، فخرجوا جميعًا عن النص وراحوا يثرثرون كأبطال كوانتين تارانتينو. انتشلني القردُ ودخل بي إلى مكان آخر، بدا كأنه مسرح منوعات، تقف كاى باركر محتشمة كمدرسةً فى إحدى مدارس الثانوية العامة تشير بعصى على قبعة ساحر موجودة على سبورة بيضاء، برز منها أرنب، فور ظهوره تخيلت أنه سيكون دليلي كدليل

(أليس) و(نيو) للدخول فى عالم العجائب بدلاً من القرد الشبيه بـ(أيغون شيلى). قفز الأرنب فى حجرى وأخرج شيئًا ضامرًا يخصني، وأخذ يلعقه ويمصه بحرفية نجمات البورنو. أغمضت عيني، وبعد لحظات من النشوة أحسستُ أنني كوب زجاجى مملوء بالماء وُضع فى المكان الخطأ على حافة مائدة، وقبل أن أقع، وبالتحديد فى رحلة السقوط، انتشلني القرد للمرة الثانية، عاد بى إلى بيتى، إلى اللحظة التي استقبلته فيها.

وجدت كؤوس الويسكى والثلج على هيئتها، شردت في الزمن وتصاريفه، وأخذت أحكي للقرد عن يوم تأخر أبى عن ميعاد خروجي من المدرسة، تأخر كثيرًا حتى بقيت مع زميلتي فى الفصل وحدنا؛ يومها فتحت بلوزتها وكشفت عن صدرها حتى بانت سرتها الذهبية، سألتني بجدية: "هل هو كبير؟" لم أرد، تجرأت لترد لى سؤالها المعلق:"أريد أن أراه" لم أكشفه لها، فاكتفت بلمسهِ من وراء حجاب، جفلتُ منها كأرنب وعندما عدت للبيت وجدتني مبلولاً فبكيت.

حكى لى القرد أنهم، أى القرود، لا تجري أمورهم بهذه الطريقة، فأول مرة له كانت مع إحدى أرامل القبيلة وكانت بالمصادفة أمه، "يومها تجمع عدد كبير من الإناث وقرروا أني مستعد لدخول عالم الرجال" ابتسمت وقلت: إن أبى لم يُبد أية إشارة لدفعي فى هذا الاتجاه، فلم يعرض عليَّ أنثاه مثلاً، ففى العام الألفين وستة، توفى والدي للمرة الثانية فى أقل من خمس سنوات، وفعلت كما فعلت فى المرة الأولى، مجرد ضيفٍ يجلس فى مقدمة سرادق العزاء ويتكفل

الأقرباء الغرباء بعمل كل شيء، وبحركاتٍ غير مقصودة مازلت ذلك الوريث الذى لم يأخذ شيئًا من رزقه.

قال القرد إن أباك مات ميتة بطل شعبي، يئس أعداؤه من هزيمته، فبعثوا له بطائر الرُّخ، التقمه وطار به، لكنه شق منقار الطائر وأفلت منه، سقط ولم تنل الأرض شرف استقباله إلا في المرة الثانية لموته. نصحني القرد أنه عندما يأتيك ملك الموت اهرب منه، فيصيب أباك الميت وتعيش أنت عَيْش الرجل مستور العورة.

كنت دائمًا فى حواراتي مع القرد ميلان كونديرا، أحكى فيرد عليّ بحكاية أخرى، وهذه لم تكن من عاداتى السيئة فى حواراتى مع آخرين، ففيها أصمتُ وأتحيَّن اللحظة المناسبة والملائمة للرد، كنت أريد لردوري أن يكون لها مفعول الضربة القاضية، وأحس بهزيمة غير مبررة عندما ينتهي الحوار لأى سبب دون الفوز بضربتي القاضية، أحس أنى أهدرت أوقات انتظار وترقب بدون سبب، فكرهت الحوارات المبتورة. ويبدو أن ميلان كونديرا فَطَنَ إلى ذلك، فأعطاني ثلاث فرص للكتابة، أو ثلاثة تمارين للكتابة.

ألف ليلة وليلة

لم أندم على ضياع تفاصيل تلك الليلة المهمة من دماغي، التي كانت في لحظات تحل؛ لأني مرتاح لضياعها. استيقظت، وبعدها بساعتين تذكرت الخطوط العريضة لما حدث بالأمس، وبعد قليل بنيت تفاصيل من الذاكرة المهترئة بفعل السُكر. هذه هى المرة الوحيدة، على ما أعتقد، التى كنت أهتم بالتذكر، وبالتالي الشعور بفقدان ما حدث. أحدس فقط أنها كانت لحظات مهمة. كنت في مكان غير الذى اعتدت السهر فيه. أول مكان تعودت شلتنا على التجمع فيه، كان بارًا شعبيًا واسعًا، كانت الخدمة ممتازة، فول نابت، وخيار مقشر، وطماطم متبّلة، وترمس. وعم محمد يأتى لنا بكبشات الفول السودانى مقابل جنيه، وكأس بيرة صغيرة أحيانا. والستيلا الواحدة المشبرة عندهم تفوق ثلاثًا في أي بار آخر. وأم كلثوم ترن الفضاء الواسع للسقف العالي. إذا طلبت من فخري جبنة، يشكل لك أجدع وأجمل وألذ طبق يستاهل عليه بقشيش محترم. عيب هذا البار هو ليس بعيب، فبقية الشلة اعتبرتها ميزة، أننا نتحدث في أمور شتى، ليس من بينها شؤون الأدب، التي تجمعنا بالأساس، فنشترك دون قصد مع جيراننا على الموائد الأخرى في الحوار. ذات مرة وجدت نفسي مرغمًا على الاستماع لسكران تجاوز عدد زجاجات البيرة أمامه مساحة المائدة، التي يجلس إليها وحيدًا، حاولت الرد باقتضاب؛ لأتملص منه، بصنعة لطافة، لكنه فهم أنني صحفي أو كاتب، أو شيء من هذا القبيل، لا يهم؛ فأفاض. ويبدو أن فخري انتبه أن الرجل بدأ يأكل دماغى، فعنَّفه على الحساب؛ ليبعد تركيزه عني، ولكن محمد تدخل وعزمه على أخرى، وصرف فخري، وعندما لُمت محمد اكتشفت أنه منسجم من كلام السكران، وبرر:

"كويس ممكن نعرف منه البلد رايحة فين" كان البار ينهي الطلبات نحو الساعة الثانية عشرة؛ ليغلق عند الساعة الواحدة. لم تكن هذه مشكلة كبيرة، فتظبيط الدماغ في تلك السهرة القصيرة يكفي، لنذهب بعدها إلى بيوتنا، وينكفئ البعض على سريره، والبعض الآخر على الفيسبوك؛ ليهيس حتى الصباح، فغدا الجمعة، والاستغراق في النوم مباح. بعد الإغلاق المأساوي للبار، ولهذا حكاية أخرى، انتقلنا شرقًا، إلى شامبليون. لا تسألوا كيف؟ فملجأنا من هجوم البلطجية، يوم موقعة الجمل، أصبح البار غير الرسمي للشلة. حالة من التوتر الزائد جمعتنا في المكان تلك الليلة. أعرف صديقًا دائمًا ما ينهكه توتر العمل وضغطه؛ فيجرى ليفرغ كل شحنته في أية امرأة يستطيع الحصول عليها، يظل يمارس معها الجنس؛ حتى يشبعها، ولا يهتم أن يشبع هو، فالمهم أن يتخلص من شحنة التوتر.

بعد أن فزعت من وابل الطوب، وقنابل المولوتوف التي ذكرتني بمعارك القرون الوسطى، حيث السهام معلقة فى السماء فوق رؤوس الجانبين، دخلت إلى عمق الميدان، بعيدًا عن مرمى القذائف، لم أستطع رمي طوب مع الآخرين، وإن حاولت صوريًا، فوضع أحدهم في يدي عامود حديد طويل، وأشار لي أن أكسر البلاط إلى قطع صغيرة؛ صالحة للقذف، ففعلت آليًا، فالكل يفعل، وصيحات الحماسة والخبط على أسوار الميدان تشعرك أنك فى حرب، الكل فيها يعمل، جمعت أول دفعة طوب في ملاءة، وتوجهت بها إلى أول شارع قصر النيل، تركت حمل الطوب، وخرمت من مسالك وسط البلد المظلمة، إلى المكتب فى شارع معروف، وجدت شله ألف ليلة وليلة هناك، منعني منظرهم من التفوه

بأى كلام. لم يستريحوا من الكلام حول هجوم البلطجية، أما أنا فكانت الكلاب السعرانه تعوي في رأسي، والعطش لا يرويه إلا البيرة، كنت أشتاق لستيلا، يقدمها لي فخري، مع كامل المزة، لتريحني من الأكلان في رأسي، فلم أجد. خرجت بحذر، بعدما نام الكل من التعب، فقد سمعت أنهم نهبوا محلات"درينكيز في شارع طلعت حرب، دُرت من شارع عبد الخالق ثروت، وأكملتُ إلى شارع شريف، وانحرفت إلى شارع طلعت حرب، مستخدمًا حارات ضيقة أعرفها؛ كى لا أقابل أحدًا. المحلات مغلقة، والليل صار ليلين، بسبب الظلام والهدوء الذي تتخلله أصوات طلقات رصاص متقطعة. لم تسألني أية لجنة شعبية عن وجهتي، فأغلب ما قابلته حواجزه ماثلة ولا يوجد أحد عندها. قابلني شاب، عرفت من هيئته أنه من بائعي الرصيف في هذه المنطقة، قلت له: "لسه الضرب شغال، مش قالوا لنا كله يروح"، فأجابني: "لا ولاد الكلب دول مش عاوزين يمشوا، وادوا الرجالة براشيم عشان تكمل"، فتركته موحيًا له أني رايح أخد نصيبي من البراشيم. لم أنسجم يومًا مع الكيميا. تسللت إلى المحل، الصاج ليس مقفلاً تمامًا، به فتحة تكفي لدخول رجل صغير الحجم، فدخلت، وجدت زجاجات الخمر الغالية مهشمة، وأضواء الثلاجات ترتعش، والرفوف في فوضى، والرائحة نفاذة، لم أجد الستيلا معشوقتي. تنبهت لدخول شخص ما، فكرت أن أداري نفسي، لكني ظهرت له بهدوء، فسألني كأنه يتوقع وجودى: "لقيت حاجه؟" قلت "لأ"، فرفع زجاجه عمر الخيام وقال: "ليه؟ ما خير ربنا كتير، الواد عبده باع الكنزايه الواحدة بجنيه، للرجالة في طلعت حرب وخلصهم.. بس تعال "وأدخلني المخزن وراء الكاونتر. همس في أذني: "ليك في سهرة

مُكن هززت رأسي بنعم، قال: "معاك كام" فقلت له ببرود وحذر: "اللى يكفيني شيلنى كرتونة ستيلا جامبو، يبدو أنه كان يخفيها عن الواد عبده، وحمل هو كرتونتين، وأشار لي أن أتبعه، ففعلت. لم نبتعد كثيرًا، صعدنا إلى سطح إحدى العمارات. سألته: "مين هيكون معانا"، رد: "مفيش قبل أن أسأله "طب إزاى سهره مُكن تنبهت للموبايل، رنات كتير من محمد، كنت حولته سيلنت؛ عشان أعرف أمشي في الشارع، فبعثت برساله لمحمد، إنى بخير وسأكلمه بعد شويه. عندما جلسنا قلت: "المكان جميل.. حتى ممكن نشوف التحرير من هنا" فتوقف عن توضيب الجلسة، وتوجه لي، فأكملت سريعًا: "المرّة.. الأكل.. فين" ردد "معاك كام" قلت وقد اطمأننت له: "هتعرف تقضى لنا أكلة حلوة؟" "هكلم عايدة، شغالة في بيت في العمارة دي.. هتجيب لنا حاجات.. بس لازم تدفع"، "طيب خد الخمسين جنيه دى" كلم عايدة من موبايلى. جاءت عايدة سريعًا، قبل أن أفتح معاه كلامًا حول ما يحدث في الأسفل، يدوب بردت نارى بأول ستيلا

كأنها متمرسة على تلك السهرات، جاءت عايدة بكل ما لذ وطاب، أعطاها زجاجة عمر الخيام، لم تشرب منها، طلعت سيجارة حشيش، وجلست بجانب خالد تدخن، أما هو فكان يشرب بغباء كل ما حمله من المحل. كانت نحيفة، تلفّ نفسها بعباءة سوداء وطرحة سوداء. عندما ضاجعها أمامي وجدت جسدها أبيض بلون الحليب، وشعرها طويل صبغاه بالذهبي. همد خالد ونام. فتسللت عليّ، قربت وجهها مني، وقالت "إنت من بتوع التحرير!" لم أرد، فأكملت: "شفتك الجمعة اللي فاتت في المظاهرة الكبيرة، كنت بتحضن زمايلك،

وتخبيهم في مداخل العمارات.. مدام عصمت جابت لكوا مناديل وخلّ.. بالأمارة البنت أم شعر قصير كانت شايله شاش وقطن في شنطتها.. وعالجت صاحبك من رصاصة جتله فى كتفه" نهنهت بدون صوت. فاحتضنتني، قالت: "هو مات؟!.. متزعلش؛ اللي ماتوا كتير.. مدام عصمت قالت لي دول شهدا" دفست رأسي في صدرها، ولم أستطع أن أحضنها، كنت في حالة سُكر شديدة. لم أعرف ماذا حدث. هل مارست الجنس معها أم لا؟ وماذا قلت؟ كل ما أعرفه أنني أفقت، عاريًا تمامًا، في بانيو حمام، من الطراز القديم، وعايدة تملؤه بالماء الدافئ وتحممني. تركتني في البانيو محاولاً تذكر أي شيء عما حدث ليلة أمس. لم أستطع. دخلت بالبشكير، قالت: "ليه بتفكر كتير؟ نسيان الحاجات الوحشة يهون علينا اللي جي.. ربنا يستر على اللي جي"، قلت بلهجه مسرحية :"إننا نعيش في هذه الحياة وقتا قليلاً، لو ننسي كل هذا فما الذي سيبقى لنا؟"، ردت بصمت، ولما خرجت من البانيو ونشفت نفسي قالت: "كُل لك حاجة، وانزل لزملاتك فى الميدان" عمومًا خفف الحمام الدافئ، والإفطار من صداع السُكر. قابلتها صدفة في الشارع عند (القزاز) أثناء احتفالنا بتنحي مبارك. أخرجت من جيبها لفافة سوداء، وقالت: "جبتلك المحفظة من الواد خالد.. معرفتش أجيب منه الموبايل"، أعطيتها رقم تليفوني الجديد. ساعدتني في استئجار شقة صغيرة في شارع شمبليون، وتعرَّفت على كل شلتي، أصبحت سهراتنا واجتماعنا ومناقشاتنا في هذه الشقة، كانت عايدة تعتني بالشقة دون أجر، وفي بعض الأوقات تشترك معنا فى النقاش. لكنني إلى الآن لم أهتم بسؤالها عما حدث، ولم تجاوب هي

روابط

ملت عليها لأهمس فى أذنها، بتعليق خاطف، على أغنية أثناء الحفل الموسيقي، فلمس أنفى شعرها وشممتُ رطوبة بحرها الأبيض. صخب الحفل وظلمة المكان دفعانى لإطلاق زفرة حارة فى المرة الثانية التى اقتربت فيها من هذه المنطقة المقدسة، زفرة أقرب لتنهيدة عاشق أو بالأدق للهيب جوعان. ضحكة على تلميح جنسي ومحاولة جادة للعق حلمة أذنها أفقداني صوابى. فتتبعتها عندما غادرت القاعة لترد على هاتف من موبايلها الحديث، وفى ممر مظلم خلف الكواليس اصطدمت بصدرها فشعرت بنهديها نديين فى يدى فقبلتها بجنون فى المكان المكتشف منذ دقائق. لثوان شعرت بيدها على خصرى ترتعش، فأصبحت قبلاتى عبث مصاص دماء متمرس على اللعب بالضحية قبل التهامها. لم أتوقع أن تكون لحظات رومانسية كهذه مدخل أشد إثارة من التعري وامتلاك جسدٍ شهيّ على سريرٍ فضيّ وثير. رن موبيلها وأطلق أضواءً "كفاية بقى ردت على الموبايل فسبقتها إلى مقعدى بقاعة الحفل الموسيقى.

اقترب شاب متوتر وضم كفيه على كلام لأذن مطرب الحفل. سكت المطرب فترة ليفكر ويقرر هل سيستمر فى الحفل أم لا قرر إلقاء أغنيتين فقط لينهى الحفل بدرى. ولكن دخل ضابط بزى أسود ليعتقل المطرب- هكذا بدا المشهد- أو أحدًا ما تسلل خفيةً هربًا من عسكر يطوقون مظاهرة بالخارج. المظاهرات مازالت متأججة برغم مرور عام على بداية الثورة. ثورة ٢٥ يناير بدأت فعليًا فى ٢٨ يناير. تذكرت مسرحية عُرضت قبل الثورة كان ممثلون يدخلون كعساكر لينهوا العرض ولكن فعليًا العرض يبدأ بجدل العسكر والفنانين ويشترك فيه الجمهور.

حضرت تلك المسرحية مرات وفى كل مرة ينتابنى رد فعل مختلف تجاه العسكر المقتحمين، أو الممثلين. خزنت رد فعلى لتلك اللحظة الحقيقية. تحمست بذخيرة حماس الـ ١٨يومًا فى الميدان ومواجهات مرعبة إلى حدود خيالية. وقفت بصدرى الذى لم يشبع من نهود ندية وتقدمت، اعترضت طريق الضابط لأمنعه من الاقتراب من منصة المسرح وكان معى شباب ثائر مثلى، مَثّل الضابط الصرامة والعنف فرفع مسدسه فى وجه الشاب خلفى، ولكن رصاصته المتسرعة اخترتني أنا واستقرت فى كتفى، فسقطت كحجر ميت أو كممثل محترف. فى تلك اللحظة خرجت صديقتى من وراء الكواليس بعد إنهائها المكالمة وشاهدت المشهد. شهقت فابتلعت صرختها ولم تبد أي انفعال سوى الوجوم والتخشب كتمثال. تذكرنا صديقنا -الذي قد يفوقنا ثقافة- الذى انتحر ثلاث مرات، ومّوت روابط صداقة بيننا بتعمد التائه فى بحر السكر والحشيش والبرشام، فقتلناه مرة واحدة على الأقل لكل واحد من أصدقائنا، وعند انتحاره الثالث أخذ روحا معه بالقتل. تذكرنا أيضا عندما ضربنى مدرس الرياضيات على وجهى، أصابها نفس الوجوم بينما زملائى كلهم بلا استثناء هجموا على المدرس واقتادوه كالذبيحة وطردوه شر طرده من المدرسة. أنا ضعيف، بالأصح أحس بالضعف، هل يكفى وقوفى بإصرار فى المواجهة على منحى القوة، القوة لا أحسها فى ذراعى، وهن، وهن، وهن، ثم موت.

أحيانا أحب أن أحكى هواجسى كحقيقة. واعتقدت أنى سأحكى لها حادثة طريفة من تلك التى وقعت لنا أيام الثورة فى الميدان، فى كل مرة أحكى أكتشف معنىً جديدًا وأتذكر تفاصيل وملاحظات

تثرى الحكاية، وأحس بطعم جديد لها. أحببت حكى تلك الحكاوى أكثر من كتابتها، بل كنت أؤجل كتابتها حتى أستطعم تخمرها على لسانى. فى كل مرة تتشعب الحكاية من عند موقعى فى ميدان التحرير فى لجنة شعبية عند شارع محمد محمود يوم موقعة الجمل وهجوم بلطجية الحزب الوطنى من المداخل المختلفة للميدان إلى لجوئنا ليلا إلى بيت صديقتنا سهى فى شارع شمبليون. نستريح ونتابع تطورات الموقف على الصعيد السياسى من قنوات الجزيرة والعربية والبى بى سى.

كنت هناك، وكنت أخرج على فترات للعودة إلى البيت، مما سمح لي برؤية المشهد كاملاً. لم أهتف أو أرفع قبضتى مكورًا ومهددًا مع الجموع لنظام ينهار. بل بكيت، ضبطت نفسى وعيناى تدمعان مع أغنية شادية أصله معداش على مصر"، بعدما انتهيت من سبحة الرقص فى الميدان، قررت أن لا أبكى بعدها، وأكملت الرقص، رقصت كما لم أرقص من قبل، لم يوقفنى غير هبوط خفيف للدم من دماغى، (عرفت بعدها بسنة كاملة أنى مصاب بمرض ضغط الدم). لم أفعل هذا وأنا بين يدى أصدقائى سكران طينة، فعلته وأنا بين أياد لا أعرفها.

القتل، الانتحار، الموت كلها مفردات اقتربنا منها. الآن، وبعد طوافي بالميدان، خمسة أشواط متتالية، باحثا عن شيء، قد لا أستطيع الإفصاح عنه، أدرك تماما، أية شجاعة، حقيقية، نادرة، أظهرها المنتحر أو القاتل أو الشهيد (كما تحب لغة الثورة تذكره) الذى يمتلك الموت ويلقيه بعنف فى وجه رب الأشياء، يتحداه ويثور. ولكننا لم نجرؤ على مسك الموت بأيدينا. لوحنا به فقط وبداخلنا طمع دفين فى الحياة. أعرف ذلك وهى حقيقة لا أستطيع حكيها لصديقتي التى

قابلتها بالميدان بعد سنوات من حب مراهقة جمعنا بالمدرسة. تقابلنا مرارًا عسى أن نجيب على سؤال: "هل مازال ما يجمعنا، يجمعنا؟"

أتدرى يا نهى أننا نعرف جيدًا، من قبل الثورة، أننا جيل مختلف. بضع سنوات قليلة تفصلنا عن كل شئ، حتى عن رفقاء لنا يعتنقون أشياء لا هى بالأيدولوجيات الكاملة ولا هى بالأفكار المجردة مما يجعلنى أجد صعوبة فى التواصل معهم. حتى أنى أجد مشكلة فى الارتباط بفتاة تصغرنى أو تكبرنى ببضع سنوات. هذا صحيح يا نهى الى حد كبير. أبى توفى منذ سنوات وهذا مكننى من الجلوس فى مقعد بهذا الجيل –ممارسا كل النزق بالحرية الواجبة– والاعتقاد فيه والتشبث به. أنا ابن هذه الأحداث، أنا ابن جيل الثورة، أفهمه وأقدره، حتى لو مت داخل مسرح –بشكل يبدو داخل إطار ثورى– أثناء ملاطفتى لأنثى أحاول أن أستعيد معها روابط قديمة غير ثورية بالتأكيد. لا أقدر القيم الكبيرة الزائفة، أستثنى منها قيمة الثورة، لكنكِ تعلمين مدى مثاليتي وأفكاري الرومانسية عن كل شيء، وبين أداء أحاول دائما أن يكون صورة عن معتقداتى الثورية ولا أعرف حتى الأن هل نجحت فى هذا أم لا، بطلت حتى التفكير فى قيمة النجاح والخسارة والفشل، أعيش حياتي.

هل تعرفين كيف قضينا ليلة جمعة الغضب؟ سأقول لك، ليس من باب الاعتراف الذى يؤدى الى التطهر، ولكن من باب الحكاية. قضيته وهواجس الجنس تملأ جسدى. فتاة خشيت أن يمنعها أهلها من النزول يوم ٢٨ يناير فرتبت لكى تبيت عندى مع اثنتين من صديقاتها لهن نفس المشكلة. أتدرى يا نهى لماذا فشل المثقف في

التنبؤ بالثورة؟ هذا لأن المثقف كان وما يزال فى الحظيرة، حظيرة مثاليات، أراك تومئين موافقة، حظيرة أهوائه وهواجسه ومعتقداته -ربما لا أقول الجنسية لأنها تخصنى وحدى في هذه الحكاية- التى تغلفه برداء النخبوية فلا يفعل بها شيئًا غير التشدق والتأرجح بها. ثلاثة أجساد أنثوية تبيت تحت سقف بيتى، لم يحدث هذا فى الغراميات المرحة لميلان كونديرا. ثلاثة أجساد أنثوية مليئة بالتمرد، بشهوانية التمرد، بنزق التمرد. لا يوجد ما هو أفضل من سجائر الحشيش لتقضى على توتر إحساسهن بالتمرد. هكذا سربت لهن هذه الفكرة حتى استطعت إظهار فرحة إيجاد كنز صغير على وجوههن بالقطعة الثمينة فى السلوفان الأحمر. لم تعترض إحداهن وتقول إن بعد ساعات ستخرج مظاهرات النهاية كما تقول رسائل الموبايل أمس بعد قطع الإنترنت والفيسبوك عنا. تمددنا نحن الأربعة فى الصالة نتداول السجائر ونفكر فى الغد، تخففنا من ملابسنا ولكن تلامسنا بالأفكار والمخاوف والاحتمالات. لم يناقش أحد منا الوطنية أو الانتماء. زفرت إحدى البنات "نفسى أشوف ريس تانى وقالت أخرى "ليه محكومين بالجمود والثبات ثلاثين سنة" وأضافت الأخرى تصحيحًا "ستين سنة" واندمجت معهن وقلت "التغيير هو ما ننشد" تلاشت هواجس الجنس داخلى. الحميمية وعري الأفكار والمخاوف ارتقت بنا الى حالة إنسانية أعلى. ووجدت نفسى أكثر من أي وقتٍ مضى مستعد لبناء روابط جديدة مع الثورة.

طائر تبدو عليه ملامح القداسة

قد يكون حلما أو قد تكون قصة عن الكتابة أو قصة عن المشاعر أو مزيجا من هذا كله، هذا ما لم أحسمه أو لعلى لن أحسمه أبدا.

فأول ما مر على ذهن نجاة أن الحب لا يستطيع النمو فى هذه المدينة القاسية. لم تعد تعتقد أنها تستطيع غمر العالم بالحب بكتابتها. خاطر أشعرها بالارتياح بدلا من حزن دفين يائس، ارتياح لفقدها الأمل فى محاولات تجهد روحها وتستنفذ طاقتها. السقوط من أعلى خلص نجاة من غيمات تكبلها بالعمى فى مواجهه الحقيقة. شيء مدهش حقا، لم يكن سقوطها من على كوبرى فى البحر غير حادثة غير مقصودة، والأمتار التى تفصلها عن سطح البحر كفيلة بتألق ذهنها، لتهديها للخاطر الذى شملها بارتياح فى رحلة غوصها الهادئ الذى ظنوه انتحارا

طرطشات الماء المالحة لم تكن مزعجة بل بدت ملونة ومبهجة. شدتها قوة السقوط لأسفل سطح الماء، وبرد فعل لا إرادي دفع جسدها نفسه إلى أعلى. شهقت فور تحرر فمها من ملوحة البحر، لكن وزن الجسد لم يمهل رئتها أى فرصة لملء نفسه بالهواء. أحست بشيء صلب مس أطراف قدمها. فى هذه اللحظة لن تهتم إذا كان إحساسا حقيقيا أم زائفا، المهم أن تشعر به قوة، قوة دفعتها إلى أعلى لتلقى نظرة أخيرة على العالم

فتحت عينى، السماء زرقاء، النور يغمر مرمى البحر. هناك طائر. يطير وحيدا مثلى. جناحاه يرفرفان حول غيمة تحجب قرص

الشمس. أغمضت، ولكن الطائر لا يزال فى عينى. لحظات الموت والحياة، الإيمان والكفر، الحب والكره تحولت إلى معانٍ وتلاشت مثل ضوء باهت يخفت مع عبور الطرف الآخر. فهمت سريعا أنها لحظة موتى منذ سقطت، فهمت أيضا أنه ليس هناك طريق آخر. كنت مفعمة بالآمال، فى هذه اللحظة فضلت التخلى عنها، لهذا لا يمكننى مقارنة نعومة الطائر وحنانه حين احتوانى بأى شيء آخر على هذه الأرض، عندما لفنى بهذا التوسع المدهش لم أهتم بشيء آخر، ظله الرمادى يكبر ويكبر، حتى أحاط بجسدى كله فدفست رأسى فى باطن الطائر، ونمت.

ظلت صورة هذا الطائر تشد انتباه نور فى كل مرة يدخل فيها مكتب البندارى المتخم حتى السقف بأرفف الكتب. أخبرنى البندارى ذات مرة أن إحدى الكاتبات التى نشر لها فنانة تشكيلية أهدته هذه اللوحة. اللوحة صورة فوتوغرافية لطائر يطير وحيدا على صفحة المياه المنبسطة. شدنى البندارى إلى إحدى غرف الشقة التى يعتبرها مكتبا لدار النشر وأعطانى حقيبة جلدية صغيرة معبأة بأوراق ودفاتر، ثم قال بسيمائه الساخر وهو ينفث بقايا دخان أزرق إنه يريدنى أن أراها فيما بعد: أطلع عليها، فلربما وجدت ما يصلح للنشر

ما إن قال ذلك حتى استعاد دوره كناشر وهو يسألنى عن أحوال الكتب والكتاب فى دور النشر الأخرى، وسمعته على مضض يتحدث كالعادة فى توافه الحياة وشؤون أخرى لا أهمية لها. عرفت حين خرجنا للصالة أن هذه الحقيبة تخص الصحفية الراحلة نجاة التى تحدث الوسط الأدبى عن موتها كثيرا منذ فترة وتوقف الحديث حين سرت إشاعة أنها

كانت مريضة باكتئاب ثنائى القطب. قد يفسر هذا لماذا لم تنشر كتابا خاصا بدلا من النشر الصحفى فى الجرائد. أعرف نجاة من تسكعى الدائم فى وسط البلد وبين المثقفين. قابلتها عدة مرات منهم سهرة فى بار فندق امتدت للفجر وأعربت لها، باقتضاب، عن إعجابى بحواراتها مع كبار الكتاب. كادت تتخصص فى هذا المجال، وإحساسى أنها اكتفت ببراعتها فى هذا المجال عن باقى المجالات الصحفية التى يمكن فيها أن تستهلك نفسها. فقد جربت العمل فى الصحافة ولم أفلح، واتجهت لأعمال النشر والتوزيع والكتب بصفة عامة. نجاة لم تجر حوارات صحفية بالمعنى الترويجى الدارج الذى يمارسه الصحفيون بل كانت أثمن بكثير. يومها ذكرت لها ملاحظات على حوار أو اثنين، ابتسمت. كانت باهرة الجمال، بلوزتها الصفراء مفتوحة الرقبة حتى الكتفين، ومنبت الثديين يتألق فى الليل مع الهواء المنعش، خفت أن تتحول كلمات إعجابى لغزل تفضحه عيونى. عدت سريعا لمائدتى على أمل لقاء آخر، فرتبت الصدفة لقاء مع حقيبتها الجلدية الصغيرة

فور وصولى البيت أحسست بثقل الحقيبة وتركتها عند باب غرفتى، ظللت أحوم حولها أيامًا، لم أدُهش أنها لم تتحرك من على باب الغرفة، لم يكن تكاسلا، قدر ما كان خوفا، خوف يمنعنى، قبل كل شيء، من اكتشاف الآخر فى نجاة. ماذا لو كانت كل تلك الأوراق خواطر ساذجة أو يوميات تافهة أو حتى إرهاصات رواية وقصص غير مكتملة، هل سأظل أرى نجاة المثقفة القوية الجميلة؟ هل يسعى أصدقاء نجاة لتقديمها فى كتاب ليختصروا بعضا من الحضور

الخفيف الرشيق الدافئ الذى كان يتمتعون به فى صحبتها، وعندما لم يستطيعوا دفعوا بكل الأوراق للناشر. هذا الشخص من خلال المخطوطات والدفاتر والأوراق مرعب ومختلف عن صورة الكاتب التى نراها بين دفتى كتاب منشور. ورقة صغيرة بزغت تدعونى لقراءتها دفعتنى لرغبة قوية لفتح الحقيبة..

سأصنع حبا لى داخل صداقتك
وسأمشى معك ملايين الطرق
وألملم كل ما أقابله من عزلة
وكل ما ارتكبته من ضعف
وأهديه لك فى صندوق تذكارى
وحتى لا تزعجك رومانسيتى المفضوحة
لن أقدمه لك عند الغروب

هزتنى الدعوة وشرعت فى العمل، تبدو مسوداتها نموذجا صارخا لمحاولاتها المتوترة لصنع كتابة جيدة، هذا ليس معناه عدم روعة وجمال القصص التى تشى بها الأوراق، تملكتنى الحيرة، فرغم ذلك تحوى شخبطات وأسهما وعلامات وملاحظات تائهة وكلمات ناقصة ومتاهات وحواشى سائبة مكتظة بأشياء وهمية لشياطين وشموس ونجوم..

المسودات لأسباب عديدة مخيفة لبعض كتابها تثير فيهم الفزع إذا حاول أحدهم الاطلاع عليهم ربما لأنهم يعتبرونها جزءا من حياتهم الداخلية التى تضم أسرارهم وتجاربهم الخفية، فتراهم يخفون أشياء ويحورون فى حوادث، وينسبون حكاية لهم لشخصية أخرى بعيدة.

هل من حقى أن أحول هذا لكتاب أنيق بورق مصقول وتنسيق محكم، بخطوط رشيقة وصفحات مرتبة ولوحة منتقاة بعناية لغلاف الكتاب. هل هذا من حقى دون تكليف الناشر لى باعتبارى صحفيا سابقا وناشطا ثقافيا حاضرا ومحرر كتب حاليا. كل كلمة مكتوبة تستحق أن تقرأ، لما فشلت فى الإجابة، فسألت نفسى سؤالا آخر دفعنى للتعرف على حياتها بدلا من صورتها الجميلة الملتصقة بعقلى، أيجدى هذا

شيء أوقف نور جعله يعيد علاقته غير المرتبة بكتابة نجاة. حلم منذ سنوات حلما ودونه فور استيقاظه رجع إليه أثناء قراءته لنجاة، صُدم وبلغ به التوتر حدًّا جعله يوقف عمله وحياته، يتراءى لنور فى الحلم امرأة قبيحة تزداد جمالا بقدر ما ينظر إليها وبفعل نظراته فقط تشرع المرأة بغوايته كما تفعل النداهات أو حوريات البحر أمام البحارة فتغترب وتقترب، لاسيما أنها تغنى مثلهن، ولكن سيدة أخرى تبدو عليها ملامح القداسة تسارع لإنقاذه وترفع المرأة الغاوية وتشق الستائر عنها وتريه بطنها الحافل بالعفونة ويستيقظ نور. رسمت نجاة هذا الحلم لشخصية فى مخطوط رواية بالإضافة إلى أن الحلم نفسه يتخذ شكل قصة منفصلة وأخيرا عثر على ورقة دونت فيها الحلم بعفوية كما فعل بتفاصيل أكثر ونهاية مختلفة نوعا ما، فتقول: "عندما رأيت البطن العفن جريت ورأيت نفسى أنفصل كثيرا وكل أحد منى يجرى فى اتجاه مختلف وتنتابنى مشاعر مختلفة مع كل اتجاه واستيقظت

هل حلمنا نفس الحلم؟ ولكنى اكتفيت بتدوينه فقط بينما استخدمته هى فى كتابتها هل فسرت لغزه وعرفت من هى السيدة

التى تبدو عليها ملامح القداسة وتسارع لإنقاذنا؟ هل تشعر عندما تقرأ شيئا لا يخصك أن قلمك هو الذى كتبه وخطك الذى رسمه، بل النقط والفواصل كما تريدها أنت

"فى بعض الأحيان يحتاج العقل لاكتشاف الأشياء بنفسه دون الاعتماد على الحواس، لأن وعيه لا يثق بها ربما لهذا طريقة واحدة وهى الكتابة، الكتابة هى المرأة المقدسة التى تكشف كل شيء، حين نشرع فى الكتابة نطل على كل شيء، فنرى دون عيوننا، ونلمس دون أصابعنا، ونشم دون أنوفنا. الرغبة المحمومة فى الاكتشافات تدفعنا للكتابة والكتابة المعرفة بهذه الطريقة تصور لنا أنفسنا كشخص آخر يقيم داخلنا ملئ برغبة عارمة للقفز على الحواجز واستيعاب العالم الكتابة تقضى على البطن العفن للواقع. الأدب غير الواقع. بالورقة والقلم أن تعيش بهم رغباتك.. أما الواقع فى هذه المدينة القاسية التي تلتهم حيواتنا وتتضخم لتزداد قسوة، حيواتنا التى نحافظ عليها فى إبداعنا بعدما تعرفنا عليها تتآكل فى هذا الواقع إذا لم ننجو منه، كنت لأمارس الأدب فى هذه الأوراق لأنى أعتقد بقدرته فى منع تحول الناس لنباتات أو حيوانات تولد وتعيش وتموت بلا معنى

هزتنى هذه الفقرة التى كتبتها نجاة كما هزتنى الدعوة قبل ذلك وأحسست أنها تخصنى أنا أيضا. كنت مفعمًا بآمال فى إصدار كتاب واحد يضم نصوصا شعرية ونثرية وقصصا ورواية، ويضم أيضا أبرز حواراتها الصحفية مع كبار الكتاب التى تكشف فيها عن نفسها. أرصد فيها جمال نجاة كما عشته مع أوراقها ولكنى تنبهت لأنها لم تكن تهدف لنشر شيء وكانت تمارس الأدب لتحيا فيه فقط.

كانت هناك قوى وحشية فى كتابتها، أعود وأترك نفسى بإخلاص لها. رجعت للحقيبة كمهزوم يتوقع حدوث معركة جديدة، جلست إلى المنضدة وأنا منشرح كما لو كنت أسلم جسدى لمهمة مقدسة. بدأت أقلب الأوراق وكيانى كله يهتز أرتجف وأتفصد عرقًا. قليلة هى الأشياء التى تحدث لتغير حياتى فجأة، لهذا لا أحمل ضغينة للبندارى لأنه وضع الحقيبة فى يدى وقال لك أن تختار. نحن نتنازل عن أفكارنا بالكتابة وللكتابة.. سأتلصص بحرية على أفكارها وأحلامها. جزء من هذا مخيف ومرعب لأنها ماتت فى الحقيقة- وجزء أكبر لذيذ ومليء بالاختلاف والجمال- لأنه إبداع.

يساورنى شعور بأن الحقيبة ستنفتح من تلقاء نفسها، كجنى لا يحتاج لدعك مصباح ليخرج لتتناثر ويتطاير ما تخبئه لىّ، أوراقها تأكل أوراقى كما أكلت السنبلات اليابسات السنبلاتُ الخضرُ. قصاصات كتبت فيها خواطر مراهقتها تدخل من النافذة، دفتر يوميات يتسلل من تحت عقب الباب، مسودة رواية تمشى على رفوف مكتبتى تركل كل كتبى على الأرض، مخطوط يتسلل من تحت السرير ويباغتنى بضربات متلاحقة على كتفى.

الفوضى تلاحق فضاء الغرفة الذى بالكاد أتنفس فيه. تتقلص الغرفة إلى تابوت بجدران تتسع بالكاد لى. أزحف كجندى فى ميدان حرب.. انهزم وأمل الاستسلام يراوده. أصل إلى باب غرفتى حيث تركت الحقيبة، وبمجرد أن ألمسها يتوقف كل شيء وبربتة حنونة، كهمسى لها: إهدأى، يعود الجنى إلى قمقمه. يبزغ طائر يحط على الحقيبة وينقر عليها نقرات خفيفة متناغمة مع ضربات قلبى ... لهذا لا

يمكننى مقارنة حنان الطائر ونبضاته بأى شيء آخر على هذه الأرض

عندما لفنى بهذا التوسع المدهش لم أهتم بشيء آخر، الموت هو البديل الوحيد للكتابة، دفست رأسى فى باطن الطائر ونمت.

لا شيء... ولكن ذلك أفضل

أحب الحكي، وعندما يستدعيني ملك الموت سأحكى له. أنا لم أكتب القصص لأن خيالي واسع، بل لأنى عشتها، عشت تجاربها بمعنى أدق وأكثر وضوحًا، أستكشف حياتي من حكاياتي، لم يفهمني الناس لأنهم داخل قصصي.

عشت حياة الفرد مستور العورة، عشت زمن السلم والركود، رفضت قبل أن أشكك فى جميع المقولات السائدة والأديان الزائلة لأنها تسلك مسلك الزيف والضلال، وتتبنى التبعية والقطيع، ورغم ذلك لم أبحث عن أصولها الفاسدة، أمر على متون هرمس وأطمئن على أصولي القديمة فقط؛ "آه يا مصر، لن يبقى من دينك سوى لغو فارغ، سيتعب الناس من الحياة ويكفون عن رؤية الكون شيء جدير بالعجب المقدس، ولسوف تصبح الروحانية، التي هي أعظم بركات الله مهددة بالفناء، عبئًا ثقيلاً يثير احتقار الغير وللأسف لم ننفلت من منجل الضحالة والتفاهة التى أماتت فينا الجانب الآخر من الروحانية.

أول ما نبذت نبذت القداسة، وأول ما اقتنعت اقتنعت بالسُّكْر، فأنت حين تسكر تكون حرًا، لأنك تعيش الحلم، حلمك الخاص، فتتلاشى أصوات سنابك خيل مطارديك داخلك أو من خارجنا، فيخفف ضغط البخار المحبوس فى فروة رأسك، تهدأ الكلاب المسعورة التى تتخذ من رأسك ميدانًا للصراع، أو تحيل نفسك خروفا فتندس بين أحضان زوجة الدركى كما فعل إسكافى المودة.

صدفة محضة أنى نجوت بروحى من زمن مبارك وصدفة مدبرة أنى نجوت بجسدى من حرائق الثورة. فعشت زمن الثورة.

ولكنها لم تكن مصادفة أنى أدين نفسى بالقسوة على جسدى وروحى، لم يبذل أحد مجهودا لتجنيدى، ولم أنضم لتنظيم سرى، فقد قالها شاعر متنصلا من قصيدته الثورية: "جولوها فى أحزابكم السرية"، فذهبت وقلتها على ثلاثى الرعب الإنترنتى؛ المدونات والفيسبوك واليوتيوب.

اتخذت فاوست اسما حركيا ولكنى لم أعرف ماذا بعت للشيطان.

نحن نمتاز عن الإله، نحن فانون، الحياة والبقاء والموت، تستلزم معرفة فى حين الخلود لا يحتاج الى معرفة، نحن نمتاز عن الإله بالمعرفة.

المعرفة ليست فى التعرف على حقيقة الشيء، بل فى البحث عن المعرفة ذاتها، الإله يعرف الأشياء كحقائق وهو يعرفها لأنه عرفها بنفسه، ولكننا نبحث عن الحقيقة والمعرفة. وهذا يجعلنا أرقى من الإله وليس هناك مبرر لنعبده.

الأديان بكل أشكالها وصورها هي معرقل للإنسان في البحث عن المعرفة فطقوسها وشعائرها تقدم نفسها بأنها الطريق الى الهداية والصلاح، لماذا كانت الهداية والصلاح الطريق للمعرفة، لماذا لا يكون الانحراف عن الطريق القويم طريقا للمعرفة، الإله ليس هو الخالق، إنما هو الخالد؛ الإله هو الخالد؛ الإله إنسان خالد بدون حاجة للمعرفة.

فيظل تساؤلي الخاص كإنسان فان: هل أكلت تجاربي قضمة كبيرة من حياتي، فأصبحت جافا قاسيا أم أنها حياتي التي شكلت تجاربي ووصمتها بالقسوة؟

فيد الله دفعتني للتجربة فاكتفيت منها بالفرجة، وقفت أمام فرجة الباب الموارب لغرفة نومها، تسمرت لأن توترا طفا فى بطني كرغوة زرقاء مثلجة عندما شاهدت ظهرها العاري يضوى فى ضوء القمر، مددت يدى وأزحت الباب قليلا وأنا قابع فى الظلمة لأرى باقي الجسد المقدس المستلقي فى وداعة، ظللت أتفرج. ولكن المسألة جمالية قبل أن تكون أخلاقية. فقد تطورت الأخلاق بوصفها شكلا من أشكال السيطرة الاجتماعية لضمان بقاء الأفراد داخل الجماعات وبقاء الجماعة البشرية ذاتها فى يد المرشد الأعلى.

وحين تأملت الأمر بعدها وجدت أننا لم نتمرد على الأخلاق والجماعة. البشرية ظلت قطيع. وظلت علياء تتعرى ولم يستوعب أحد أن دلتا فينوس منها وإليها نعود، زارتنى علياء فى حجرة الشهود بالمحكمة وقالت: "حاسب نفسك على فعلك. ضم القبضة واشهر السبابة. بذلك تكون صنعت مسدسك المميت وأستعد لإطلاق رصاصة الرحمة على رأسك حالما تنهى الثورة من محاكمتها للكل صرخت بصوت مبحوح كالصاحى من منام "المثقف دائما على يسار السلطة، فإن لم يثر فهو دائما مقاوم"

دقت مطرقة القاضى، فرأيت ثعبانًا يسرى على المنصة، وعرفت أن الثعبان حيوان طويل ورفيع يُذكر الإنسانية بأن للخوف شكلا وللشر قواما وعلى الجانب الأخر من المرآة ثمة عالم معكوس، حيث المجانين يصبحون العقلاء، يكفى أن يمد الثعبان رأسه السام داخل المرآة حتى تعرف أن الإيمان بالخير وهم آخر وعلى أى جانب من المرآة يظل تساؤل معلق عن الحقيقة؛ هل هى وجه آخر أم وجهه

الآخر؟ فإذا انقلب الثعبان عصا حقيقية تضرب الأرض تفجرت ثورة وتمرد، هل نحن فى الواقع كنا مشوقين للأرض والشعب؟ ثم نسينا فتبخرت الثورة عرقًا ودموعًا وأسى أم لأن، الجميلة الحرة، قالت نفتقد غطاءً معرفيًّا.

نحن فى واقع الأمر عينة صالحة لدراسة أثر الركود والفساد على الأدب والفن، حلقتنا المسكينة التى لم نستطع الخروج منها أجبرتنا على أكل البلوظة ولم تمنحنا الإحساس بأننا رفضنا ما يجرى وللمنا عجزنا فى سؤال فيسبوكى سخيف "بماذا تشعر يا طه؟" فأجيب:"لا شئ... ولكن ذلك أفضل

مرت سنة

نص يشتبك ويتشابك مع نص للشاعر أحمد شافعي

مرت سنة، لم أذكر يوم عيد ميلادى لأحتفل به فى تلك السنة، كما رفضت أن أحتفل بأعياد الثورة، هذا هو عام الهم العام بامتياز، مرور سنه تحت الحكم العسكرى أمر صعب على شعب ثار على ثلاثين عاما من حكم مدنى يلبس العسكرية بقمعية وفساد. الحوادث هذه السنة تسارعت وتلاحقت بشكل لم أستطع فهمه أو متابعته بالكامل، ما بين التفسيرات والتحليلات ظهرت إرادة الشعب. العاصم لى من الجنون أو التوهان هو اتساقى مع ذاتى. المهم هذه المقطوعة السردية، من المفروض، أن تعزف على لحن مرور سنة، ما بين ٢٠١١ الى ٢٠١٢، سنة لم أشعر بحياتى فيها، لذلك فمن الأفضل أن أحكى عن ما حدث قبل هذه السنة. فأنا لا أعرف فعلا، هل هذه سنة مرت حقيقة وهل عمري قد ازداد بها عاما أم قل عاما؟ بل لا أعرف إن كنت أتكلم عن عام أم أعوام لا أملك لها حصرا؟

****

توحى الفقرة السابقة بتمهيد لنص كاشف عن شئ ما يخص الثورة أو على أقل تقدير عن عام مضى على بداية الثورة، ولكنى لن أعدكم بذلك وهذا ليس التزام أيضا، يكفى أنه يوحى بقدوم نص يحمل أكثر قليلا من اعتراف وأقل قليلا من شهادة.

****

أعتقد أنه كان فى شهر ديسمبر ٢٠١٠ حين وقفت فى مجلس الشر "شلة أصحابى" أعلن أنى متفائل بالسنة القادمة، وكعادته أعضاء المجلس جادلونى محاولين أن يستخلصوا منى الأسباب الخفية التى لم

أكن أدرى كنهها حول الشعور الطاغى الذى كان يلفنى بالتفاؤل وأضافوا العالم كله لا يرى خيرا فى ٢٠١١، قالوا أيضا أن بنهاية العام القادم سيكون مشروع التوريث اكتمل، قالوا إن خيرى شلبى سيظل محركا لفساد الجوائز الأدبية، والأهلى سيظل بطلا للدورى والجماعة المحظورة ستظل محظورة، ووو

واتفقوا فى ما بينهم – فنادرًا ما نتفق ولهذا سمينا أنفسنا بمجلس الشر– على أن الخلاص الأكبر فى النفس والتحدى الأعظم هو كونك نفسك وما قبل ذلك فهو إلى زوال أو ديمومة لا تفرق. الجميع يكذب هذه هى الحقيقة الوحيدة بيننا، بالإضافة أننا لم نكن نرى فى حقيقة أن كل شيء يتغير إلا قانون التغيير ذاته إلا هراء منطقيٍ، والثقة ليست فقط غير صالحة فى المجادلات بل أيضا غير موجودة، إنها أمر خيالى تماما. كفروا بالقارئ ورأوا المهمشين ليسوا إلا مادة للكتابة. والنخبة مثل الكريمة لا تغنى أو تسمن من جوع. والحكومة هناك بجانب الرب تظل مقدسة حتى يأتيها اليقين المدنس. أمنوا على ساراماجو نبى وأصلان العبد الفقير فى دنيا الأدب وأولاد حارتنا تلخيص روائى جيد للكتب المقدسة قام به أحد رهبان الرواية وحافظها، وبدون قتل عرفة للجبلاوى تقبع تلك الرواية بجانب الكتب المقدسة على أرفف مكتباتنا فى انتظار التراب وسور الأزبكية بعدما نفنى من هذه الدنيا. وأبدى كل واحد فينا استعداده باستبدال أى منا أو كلنا، بشلة أخرى يكون قوامها الشر. الإيدلوجيا سقطت والقضايا الكبرى أصبحت كالدوائر المفرغة وكتابتنا هى كتابتنا لا هى بالجديدة أو الفارقة، هى تعبر عنا وعن هواجسنا فقط. القانون للحظة واللحظة

للمتعة، فما الذي يمنع الإنسان من حب المتعة. يقولون أن الله لا يحاسبنا على حب الخطيئة بعد التوبة عنها. من الذى يمنعنا من حب الخطيئة إذًا، من يكره الشهوة؟ من يرفض الجمال؟ تبقى الشهوة غريزة، والجمال سمو، والرغبة سحر، والرقص جموح، والجسد للجنس.. إذا لم تبدأ الحكاية بهم، فبهم هل تنتهي.

قلت لهم ولكنى أريد أن أكبر، ردوا علىّ أتريد أن تكبر فى زمن ومكان كذاب وضيق كما بقعة الزفت السوداء الكبيرة.

قلت: أريد أن أفلت من قيود فاسدة وهزيلة، ضحكوا ساخرين: هو الهروب، إجلس معنا إذن هو أرحم لك.

قلت: العالم واسع وأرحب. قالوا: جوجل والفيسبوك صنعوا لك عالما أجمل عش فيه.

ومكتبتى وكتبنا. هى جنة الحشاشين وكل منا حسن الصباح فى قلعة الموت في أى وكل مكان. وألف ليلة وشينو وكب دور. هى جزر نخرج منها لنذهب الى جزر أخرى.

صرخت فيهم هل تظنوا أنكم تعرفوننى لأنكم قرأتم كتاباتى وقصصى. لم يردوا، مستهزئين لصراخى، وقال أحدهم وكأن صوته يخرج من أعماق البئر: "أنت رئيس مجلسنا، مجلس الشر... ماذا تنظر منا ومنك؟ كم إجابة تستطيع الحصول عليها من الحياة الواقعية إذا كنت تتساءل من أين تأتى خيالاتك وأحلامك، فانظر حولك.. كتبنا هى الحل.. كتابتنا هى السبيل الوحيد لكي نرى حياتنا كما نعيشها لأنها تسبر أغوارنا.. الحياة الواقعية ليست أى منبع لخيالاتنا وأحلامنا.

وبعد هل نعيش فى كتابتنا وندعى أنها حياتنا الماضية، أو المستقبلية؟ رد أخر وقال: المشكلة أننا عندما لا نجد الجواب المنطقى نستسلم للجواب الأحمق.. دعنا نبحث عن الأجوبة سواء كانت منطقية أو حمقاء... المهم أنها أجوبة تريحنا وتناسبنا، فى بعض الأحيان لا يوجد تفسير لشيء ونحن مرتاحون لذلك

***

هذا "أنا" قبل الثورة

كنت لا أستطيع الانفصال عنهم، صعب أن تجد صحبة تتقبلك كما أنت، بل وفى كثير من الأحيان تقدر عيوبك وتحترمها، قرأت مره أن أى شخص يدخل حياتنا هو مرآه تعكس شيئا داخلنا لا نراه.. لذا لكى أحسم أمرى سألت نفسى سؤال كيف لهم أن يعكسوا شيئا داخلى لا أراه؟ هل الثقافة والاشتغال بالأدب تدمغ فينا عدوى من نوع خاص؟ نكتفى بتغيير من نوع خاص لا يمس باقى الجماهير؟ عن أي تغيير نتكلم؟ التغيير الذي نفهمه لا يبدأ إلا من الرأس، من العقل. والتعليم والإعلام والثقافة في يد النظام، فكيف نتوقع من نظام حاكم أن يشكل في الناس وعيا يطيح بهذا النظام؟ قلت: التغيير الوحيد الممكن في تصوري، هو أن يعمد فرد مثلي حينما يكون له أبناء، إلى أن ينشئ فيهم هذا الوعي. وهذا حسبي. وهذا مدى قدرتي أنا على التغيير، ومدى قدرتهم أيضا على التغيير.

***

عموما لا أعتقد بوجود الحقيقة أصلا، ولكن أقربها هو الواقع ناهيك من أنه صنيعة النظام- وهو الذى رسخ فينا أن الاشتغال بالأدب لا طائل من ورائه ونسينا أن علينا للقارئ مسؤولية. لهذا لم نشعر بنقاط ضعف النظام أو حتى نرى سبل تغيير. هزمه الجيل الذى كان يحاول الوصول للقارئ وكنا نسخر منه كتب مدونات؟ كتب بست سيلر؟

هل كنت أشعر برياح الثورة حينما اعتقدت بوجود قارئ بدون "ألف لام" التعريف؟

***

مجلس الشر كان يرى في الثورية نزقا، مراهقة، أمرا يتناقض مع ما ينبغي أن يكون عليه المثقف من برودة في التلقي، وفي التحليل، وفي العرض. ويرى فيها أنها تلغي المسافة التي ينبغي أن يحافظ الكاتب على بقائها فاصلة بينه وبين العالم ليراه بصورة لا تتهيأ للثوريين والعوام سواء بسواء.

فهل نقص عمري بمرور ٢٠١١ عاما أو أعواما فارتددت الى مجلس الشر أعارضه ويسخر مني؟ أم ازداد عمري بمروره عاما أو أعواما فعلمت أن الثورية موقف وجودي، لا مجرد موقف من سلطة؟

***

بعد مرور سنة على الثورة، أستطيع تفسير ما كان يجتاحني وقتها، هل كان لزاما على أن أذوب فى مجلس الشر حتى أولد شهوانيا تواقا للتمرد والثورة، والانخراط فى الجموع مجنبًا فرديتى التى أعتقد بها. كنا

نعتقد فى فرديتنا، لم نكن مخطئين تماما، فكل من آمن بفرديته نجا، كنا تائهين.. ضللنا الطريق الى الحقيقة. تمْسكنا بها عاصم لذواتنا وفرديتنا. المهم أننا آمنا بقيم مجردة لا تحتاج للمنطق أو الغباء، لا يراها إلا مَن لا يراها فعلاً، بقيم الحرية والعدالة والمساواة.

لهذا لم أقم بالثورة، وإن اعتبرت نفسى أحد أبنائها

هذا "أنا" بعد الثورة

***

ترى كم مصريا الآن ينظر إلى نفسه في المرآة فلا يرى ما كان يراه طول عمره؟ لا بد أنهم كثيرون، ولا بد أن هؤلاء لن يسمحوا بأن يكون ما بعد ٢٠١١ كالذي كان من قبله؟

الإذن بالكتابة

منذ فترة ليست بعيدة، قابلت في ندوة بإحدى المكتبات، امرأةً في الثمانينيات من العمر. كنت في المكتبة مشاركا في جلسة قراءة، ووجدت واحدة من الجمهور تنتظرني بعدما انصرف جميع الحاضرين، على الرغم من حرارة الجو القاسية والمقبضة. بدت تلك الغريبة جذابة، أنيقة، مهندمة، وعاطفية بوضوح. انتحت بي جانبا، وطلبت أن تكلمني لدقيقة على انفراد. فوقفنا بجانب رف كتب كوميكس، ومالت عليّ، كأنما لتسرّ لي بشيء ما، شيء لا يمكن أن تبوح به إلا لي.

همست لي بأن لديها قصة.

لم يكن ذلك حدثا استثنائيا بالمرة. فقد ذهبت لندوات كثيرة، لأتكلم عن روايات أصدقائي وعن حياتهم في الكتابة، بعضهم يعجب بحديثي ونقدي المتواضع وكثيرا ما كان يأتي إلي من لديهم قصص يريدون أن يقصوها عليّ. وغالبا ما كانت تلك القصص هي قصص حياتهم التي ما كانوا يستطيعون بأنفسهم أن يسردوها على نحو مكافئ لإحساسهم بها، ولعواطفهم تجاهها. ولأن أولئك الناس لم يحكوا قصصهم، فقد كان لزاما عليهم أن يحملوها، وكأنما القصص ما لم تنته إلى الحكي تبقى مخزنة في حقائب معلقة على الظهور لا سبيل إلى إنزالها، أو كأنما هي مربوطة في كعوب أرجلهم بخيوط سوداء لا انفكاك لها. كأنما تلك القصص كانت مسئولية على أصحابها.

كنت أنصح أمثال أولئك الناس بـ: ورش الكتابة، والقراءة، والتدوين والكتب التي قد تعينهم على كتابة حكاياتهم. وكانت تلك الاقتراحات مفيدة لبعضهم، فيما كان بعض آخر بحاجة إلى مزيد من المساعدة، فقد

كانت قصص أولئك بطريقة أو بأخرى عالقة بداخلهم، لا يستطيعون كتابتها، مهما تكن قوتها. وبمرور الوقت، صرت أرى أولئك الناس وكأنما كل واحد فيهم كتاب، سِفر لم تكتب صفحاته بعد، ولكنها كتب بقيت لها جميعا حيويتها وواقعيتها وقدرتها البالغة على التأثير. قصص تضطرم بداخلهم، ولهيب يزداد وهجا بمرور السنين.

القصص هي التي تحدد من نحن وما الذي نريد أن نكون إياه. هي التي تحذر، وتذكّر، وهي التي إن بترت قبل الأوان تخلّف ندوبا وأي ندوب. وهي التي إذا لم نروها، تتباطأ وتتثاقل؛ ذلك أن كل حكاية إنما خلقت لاثنين: حاكيها، وسامعها. كاتبها وقارئها.

بجانب رف كتب الكوميكس، بدأت الغريبة التي انتظرتْ في صبر شديد تفضي إليّ بتفاصيل مدهشة عن ثورة ٢٥ يناير. لقد عاشت حياة سرية، والآن وقد بدأت تكشف بعض تفاصيل حياتها لي، بدا وكأنها تصغر أمام عيني، وتحلو، وتستحيل فتاة مسكينة أكرهت على إخفاء هويتها. تكلمت عن مظاهرات حاشدة رأتها رأى العين، عن قنابل غاز شمتها، دماء لمصاب مات بين أيديها، عن أصدقاء فقدتهم ولا تزال تتوق إليهم إلى الآن، ذلك ونحن واقفان، وشخصيات من كتب الكوميكس تطل علينا: عجوز وكاتب مثلها تقريبا، عايش الثورة حتى النخاع. أخذ ماضي التمرد والثورة يتوهج من حولنا، ملموسا، محسوسا، مثقلا بالأحزان.

قالت لي غريبتي إنه لم يبق لها من الوقت ما يمكن أن تضيعه. كانت تشعر أن عمرها، وحالتها الصحية، وتدهور حالات غيرها ممن

شهدوا الثورة في مثل عمرها، تعني جميعا أن ما بقي من القصص حبيسا في صدور أصحابها مهدد بالاختفاء إلى الأبد. لقد انتظرت لكي تحكي لي، راجية أن أكتب عنها قصتها. فلو لم يتم التعبير عن شعورها الخاص بالحماسة والثورة والتمرد الذين هاجموها فى الشيخوخة، وتدوينه، فإنه قد يختفي. ولو بقيت قصتها دون أن تحكى، فسوف يختفي العالم الذي عرفته باختفائها، ونضالها ورحلتها سيبقيان بلا قيمة ما لم يذكرهما أحد. تلك كانت مخاوف غريبتي العزيزة.

وبرغم أنني تعاطفت مع محنتها، أصررت على أنه لا يحق لي أن أحكي قصة شخص سواي، لا سيما إن كان ذلك الشخص فريد فى تجربته مع الثورة مثلها. ولم توافقني غريبتي هذا الرأي. أمسكت بيدي، وشدت عليها، قائلة "أنا أمنحك الإذن"

> لك الإذن أن تتخيل، أن تخلق عالما، أن تقوم بإحياء تاريخ، أن تكشف شعور غريب بالعجز والحماسة وقد أضفت إليه سرك أنت. لك الإذن أن تبدئ من حياتي وتكتب تخيلاتك، أن تضيف تفاصيل تلاشت من عقلي، أن تفرد خريطة روحي وتجعلين منها منطلقك ومنتهاك.

بالنسبة لي، أحببت بالذات فكرة أن تلجأ هذه الغريبة الجميلة إلى كاتب شاب لا إلى صحفي، وأن تعرف أن قصتها وحقيقة تجربتها ستكون بين أيد أكثر أمانة حينما تكون بين أيدي الخيال. لا شك

أنني كقارئ كنت دائما أعثر على أعمق الحقائق في الخيال، ولا شك أنني ما عرفت العالم إلا من خلال قراءة الروايات،، وهو عالم ليس من حقائق فقط بل ومن خيال أيضا، ومن وجدان. وتوقفت عن معرفة العالم عن طريق الكتب عندما انغمست فى الثورة. وذلك ما كانت غريبتي تريده، ما نجنيه من الشعر والقص، ما هو أكثر من قائمة المعلومات، كان ما تريده هو خريطة الأفق والمشاعر. بالنسبة لها، تلك كانت هي الحقيقة.

لا زلت أدين لغريبتي بقصة، أحكيها ذات يوم فأنصف من خلالها تجربتها، ولكنني الآن لا أدين لها ببساطة إلا بالشكر. لقد أهدتني يوم تقابلنا لأول مرة هدية، أهدتني الحق في صنع قصتي أنا من قصتها هي. ولئن كان يقال لأغلب الكتاب المبتدئين أن يكتبوا عما يعرفونه، فأنا أختلف مع هذا. فما يمكنك أن تتخيله، يمكنك أن تحكيه. ونحن في نطاق خيالاتنا نعثر على أصدق القصص، قصص القلب والروح. إننا نأخذ العالم الذي نعرف أننا قادرون على صوغه من جديد. ونحن إذ نفعل هذا نرى ما وراء الحجب، وما خلف الأبواب، وعبر أعتم زجاج الماضي وأغلظه. وما يبقى من حولنا في النهاية ما هو إلا دائرة من نور متألق، إبداع هو الإعجاز والمعجزة، شيء لا بد من إفشائه بين الناس فبذلك فقط يكتسب قيمته، ما يبقى من حولنا في النهاية هو قصة

الرجل المشهور والرجل العادي

يحكى أن رجلاً مشهورًا استطاع عن طريق غامض لا يعرفه أحد من الناس، أن يمتلك من القدرات والأدوات ما يعرف به المستقبل، تعود منذ زمن بعيد أن لا يفضى حتى لأقرب أقربائه إلا عن جزء يسير من تكشفه للمستقبل، تعود أيضا أن يترك الناس تختار بين ما يجنبها مضار تصرفاتها في المستقبل أو الانسياق وراء الأهواء والرغبات النابعة عن حاضر مريح.

يحكى أن رجلاً عاديًا من بقايا الناس على الأرض استطاع بضغط الظروف الحياتية الكثيرة، أن يسير بحياته بشكل لا يريده أو يتمناه لنفسة، تجرى حياته بتسارع وسرعة وهرولة كصور سنيمائية لا يعرف –هو نفسه– مدى صحة أو خطأ تصرفاته فيها، أو مدى ذاتيته في القرارات التي تتحكم في حياته، في لحظه من حياته – لحظة تباطأ فيها الحدث — أراد، وفي رغبته تلك وبتفكير مهترئ ظن أن ثنى خط سير حياته مهمة سهلة.

يحكى أن الرجل المشهور وجد نفسه، فجأة، وسط البشر اكتشافه فجائية ذلك لا ينبع من هبوطه في المستنقع البشرى ولكن من صدمته عندما علم أن الناس في تأثيرهم على بعضهم البعض يؤثرون عليه أيضا لم يصبه ذلك بالدهشة أو الانزعاج إلا بعض الوقت فأدواته وقدراته أخبرته بحدوث ذلك يوما ما.

يحكى أن الرجل العادي من شدة رغبته في الإرادة ولإرهاقه وتعبه من روتين حياته. لم يفكر كثيرا أو فكر بشكل مهترئ، اهتراء التفكير كان رغما عنه، فحياته وصلت لدرجة سيطرت على شخصيته، ولم

تترك له وقت للتفكير إلا في لحظات غريبة وغير صالحة حتى للتفكير السليم، كانتهائه من مضاجعة زوجته قبل أن يهده التعب منها ومنه، أو كملل وقوفه على حافة شرفه مكتبه في أفخم مكاتب رجال الأعمال، متردد بين الانتحار كحل أو العيش كحل مساو له.

يحكى أن الرجل المشهور فضل مكانته الأولى عن موقعه الحالي بين الناس، هو يؤمن تمام بقدره مثلما يؤمن بقدراته التي ترفعه عن مستوى طينية البشر، يؤمن بأن إمكانياته التي أخبرته بالهبوط صحيحة لا مراء فيها، وموقعه الحالي بين البشر يتيح له العيش بقذارة وارتياح في نفس الوقت ولكن ما فائدة إيمانه إذا أدى إلى اضمحلال رؤيته للمستقبل، أصبح يرى ضباب خفيف وتشويش بسيط في زوايا الحدث، تأكد من إحساسه بزوال قدرته في لحظات غريبة لم تكن صالحة لروحانية الهبة، كتفرسه في جسد أنثى ممددة عارية تشتاق للمسات رجل، أو كتحديقه في دماء ساخنة تنزف بهدوء لتتسع ببقعة حمراء قانية على أرضية بيضاء رخامية لجثة رجل عادى سقط في بهو مجمع رجال الأعمال

أتعرف ماذا فعلت

"أوقـــات بحـــس إن ذكريـــاتى ناقصة، لمّا كل الناس تتكلم عن ١٨ يوم وانا أتكلم عن ٦ أيام فقط بدأتها من مسجد مصطفى محمود ظهر يوم ٢٨ يناير، وكانت النهاية فجر اليوم السادس فوق كوبرى أكتوبر، فى نقطة مقابلة لميدان التحرير، برصاصة جاءت من بعيد ...، أصابتنى فى الفخذ ففتتت عظامى، وأنهت مسيرتى مع الثورة"

محمود

أنا يوسف يا أبى.. مساء الخير.. لم تلتقطنى اليوم عربات الشرطة. هل مازلت تذكرنى، أكيد تذكر ذلك الفتى الذى لم يوجه لك نظرات فى عينك يومًا، وازداد انحناء رقبته مع احمرار وجهه بصفعات خاطفة متتالية. ظل يعيش فى كنفك طويلا ولا يهم إذا كنت تراقبه أو إن أحدهم ينقل لك أخطاءه التافهة؛ فقد جئت فى زمن الخضوع. هذا الفتى تلاشى مع تآكل ذاكرتى، أبنى واحدة جديدة. لا أخاف فيها العسكر، فهم غير موجودين الآن أمشى

منتصب القامة فى الميادين. انسحبوا. لن تعرفنى الآن، لو تطلعت فى وجهى لن تعرف جرمى، كنت دائما أعتقد أنى محمى من كمائن الشرطة بسبب مكانتك بينهم، لم يتطلعوا لهويتى الشخصية ولا حتى لوجهى؛ ينتقى الراكب بجانبى فيقف فى أدب أو رهبة، وأتصنع أنا اللامبالاة، يتجول ببطء خبير وينتقى آخرون وينزل بهم وينتهى المشهد بأن يكمل سائق الميكروباص طريقه بآلية كأنه استعار منى اللامبالاة. لو تصادف وفكرت فيها قليلا أغبط ذلك الشرطى الماهر على فراسته التى اكتسبها بالخبرة، أكيد، وإلا كيف له أن يعرف بمجرد النظر ما يخبئ من ممنوعات؟ أو ما أرتكبه من جرم، مثلما تعرف دائما أخطائى وتعاقبنى عليها قبل أن تبينها لى، مرة بعد مرة صرت أتقبل العقاب صاغرًا موقنًا فى نفسى بفداحة ما ارتكبت. حكمتك الخالدة: من الأفضل أن يخافوك على أن يحبوك، وتهمل شطرها الثانى: إذا لم تستطع أن تفعل الاثنان..

هل ستعاقبنى الان؟ أتعرف ماذا فعلت؟ العسكر هربوا من أمامى، والخوذات والهراوات لم تجد نفعا، تخبطوا وتقهقروا. دفعنى ضابط فى صدرى، فقفز زميلى فى المظاهرة علي ودافع عنى، لم تنتبه حاله المبالاة كما كنت أفعلها، اشتد العنف ولم أجد فى نفسى الجرأة أن أكمل فانسحبت. أكنت ستقول انزل ناضل فى الميدان معهم، أكمل المسيرة معهم، أم ستخاف على ولدك الوحيد الذى تعبت بتربيته على هواك ليحمل مستقبلك بنجاحاتك وفشله. لم أعهدك تتوارى يا أبى، وتترك القرار بيدى، ماذا كنت ستفعل؟ هل كنت ستعاقبنى وتمنع عنى الاتصالات والانترنت وتكتفى بغسيل الدماغ

الذى يصنعه التلفزيون؟ تبتسم فى صمت وأنت ترانى منكمش، منغمس فى قراءة رواية حتى تمر العواصف أم ستعهد لى بمهمه مقدسه تملى على تعليماتها بحرفية حتى لا أحيد وأغير فى مسار الوطن؟ قل يا أبى، هل ستعاقبنى؟

فى اليوم التالى شاهدت فيديو لشاب يقف أمام مدرعة... والمدرعة تقف يا أبى.. أتصدق؟ كان يجب أن تشاهد ذلك معى لترانى والدموع تنفلت منى مع صرخات الثوار.. جدع.. جدع.. جدع... جدع أقلتها لى يوما يا أبى؟ هل جربت مره واحدة فى حياتك لتقف بجانبى مثلما فعلوا معه؟ هل سألت نفسك يوما ما شعور هذا الشاب والثوار يلتفون حولة والمدرعة تتراجع ويقاومون بنشوة المنتصر رشاشات المياه. اليوم أبنى ذاكرة جديدة، أكل وأشرب وأثور وأطلب وتخضع لمطالبى وثورتى. نزلت يومها وكلما دفعت صف عسكر أرى طريقا أمامى، كلما دفعت درع أرى الطريق أوضح، كلما دفعت هراوة أرى الميدان مضاء ينتظرنى. هل أزحت لى الستارة عن طريق جديد أم غلقت الابواب لتفتح بابا وحيدا تريده؟

فجأة، لماذا أخذتني الجموع الى مكان آخر، اقتحام وضرب وتخريب وحريق. يااااه على نشوة الانتصار، على تحقيق شيء بيدى.. يدى التي لم ترتفع يوما لتفادى صفعاتك الخاطفة الماهرة. هل ستعاقبنى؟ من سيفتن لك عن أفعالى؟ هل ستتفرس فى وجهى وتستشف منه جرمى وتعاقبنى، لا.. لن تعرف وجهى بعد الثورة. لم يعد وجهه البريء الذى تكتشف فيه الأخطاء بسهولة. يأخذوني لأستكشف المكان والهتاف موحد بطريقه غريبة يصرخون به عن إيمان

وقوة وعزيمة وليس مجرد ترديد وآلية. فى أحد معاقلهم أنيقة الواجهة، دخلنا الزنازين وقاعات الاجتماعات وغرف صماء ليس بها أى شئ، مثل تلك الغرفة التى تدخرها لعقابى. أحدهم يلقى بالمكاتب والآثاث من النافذة لتتهشم فى الفناء ويتولى المتظاهرون إضرام النار بها مع باقى المخلفات والأوراق. "عاوزين ننظف كل دا.. النار هى اللى هتنضف"، سمعت هذا الصياح ووقفت أتفرج. يبدو أننى شردت وأصبحت هدفا سهلا لقناص مرت الرصاصة باستقامة وأكلت الشاب الرفيع ورائى، سقط فجأة. وَّسعت دائرة المتجمهرين حولى فجأة، وسطها جسد نحيل مكوم والدماء تندفع من فخد رجله اليمنى، كيف عرفت أنه مات.. لأنى فى جزء من اللحظة شعرت أننى أنا مَن مات، تبادلنا النظرات، أنا والقناص، رأيت تصويبة بندقيته علىّ. لحظة خاطفة رأيتك فيها، أحسست ببلادة تشع منه وكأنه يريد صيدنا كالبهائم. تنبهت لموقعه فوق السطح ودفعتنى الجموع للتوارى. فى هذا الوقت انتشرت النيران التى أشعلها مَن بداخل المبنى فبرز منها لهيب قوى من الشباك تحته من السطح. صرخت على مكانك فارتبك، وشعرت بيد ساخنة تمسك معصمى وتشدنى إلى داخل المبنى، النار والضوضاء جعلتنى ألتهب وبهمهمات من اليد الساخنة عرفت أننا سنصعد لنوقف هذا القناص. على باب السطح انضم لنا ثلاثة آخرون. الظلام يلف السطح، فلم أر وجهك. فور دخولنا نبهنا أحدنا أنك تصوب بندقيته لنا. توقفنا لحظات. تحركنا لنضيق الدائرة حولة. ترددت فى إطلاق النار وقلبت البندقية ودفعت كعبها فى وجه أقرب واحد منا لك. كان صاحب اليد الساخنة التى شدتنى. سقط

والدماء تغطى وجهه هرعت لمساعدته. عندما استدرت، لم أجد القناص، فالثلاث ثوار تكاتفوا عليه وقذفوه من أعلى السطح. لم يمت. تولى البعض فى الأسفل إنهاءه.

نزلت وشاهدت القضاء عليه بالضربة الأخيرة التى همد فيها ولم يعد يئن جسده. هراوة أمن مركزى تنتفض لأعلى بغضب محملة بدماء وتنزل لتقسم ظهره وتنهى ألمه بالموت. عندها أشار أحدنا أنه مات، سحبه الى جدار وغطاه وانصرفنا بحماسة المنتصرين نلبى نداء الشعب يريد. انسحبت منهم وسحبت الغطاء.

أنا يوسف، هل مازلت تذكرنى؟

علاقة ملتبسة

الغيوم التى تعاند الشمس مناسبة لصباح أزور فيه قبر صديق قديم لم أره قبلا. هذه ثالث مرة أزور فيها قبرًا، الاولى يوم دفن أبى والثانية أنت، وبعد ما حدث أمس قادتنى قدماى وسط الغيوم لك ثانية. شعرت بالشفقة عليها وهى تكرر اعتذارات وعبارات شكر إذا واجهنا خطأ فى الطريق أو لبس فى عنوان قبرك. كان يوم حار وجاف مثل أيام جندى يحرس مساجين فى سجن حربى، ولكنى كنت أرعاها وسط جبانة ترقد وسطها ونبحث عنك فيها، لم أشعر بالعرق والضيق رغم أنى لم أكن أعرفك وقتها، فى هذا اليوم استكشفت مناطق أخرى فيها وهى تحدثك، تروى لك كل ما حدث ويحدث حولها حتى أنا، أكيد ميزتني وقتها، قالت لى أنك تشكرني لأنى وقفت بجانبها وذهبت معها إليك، صدقتها، روت لك ليس لتخبرك بل لتفصح لك انطباعاتها ومشاعرها، ساعتها لمست أهمية زيارة عزيز فقدناه ولكنى اخترت زيارتك الآن بدلا من أبى. عمى عندما أتى من العراق أكمل ليلته الأولى فى مصر عند قبر أبى وقالوا لى أنه بكى كثيرا، لا أذكر أنى بكيت أبى، وقالت لى أنها لم تبكك، هذا لأننا لا نشعر أننا فقدناكم! لم أحفظ عنوان قبرك منذ ذهابى إليك معها فالحقيقة كنت مهتمًّا بها أكثر منك، شعرت بمسؤولية عندما اتصلت فى الثانية صباحًا لتطلب منى مرافقتها إليك، وأنت فى النهاية ميت مثل أبى، الغريب أن الغيوم عاندت الشمس ولم تعاند قدمى للوصول إليك. أمس افتعلنا مشاجرة، نصحونى بالبرود. لماذا أتحمل سخونة الموقف بالبرود وأنا ألتهب بمجرد قربها، جاوبنى. هى دائما تراك كريشة بيضاء أو طيف خفيف فى الأماكن التى اعتدتم اللقاء بها وأنا ظللت أسمع صوت أبى يناديني لفترة طويلة بالبيت. نلتمس منكم إجابات. فجاوبنى. أشير بإصبعى الى قلبها وأقول هنا مكمن الخطر. لن تتشاجر معى أو تشتمنى كما عرفت أنها

عادتك مع خصومك فى حبها. أنت الآن ميت، ميت منذ ثلاث سنوات، تظاهر أنك صديق قديم تشاركنى رواية حبها وللمصادفة كانت حبك فى حياتك الماضية. صدقنى هذا التصور مريح جدا. فلا أشعر بالغيرة منك كلما رأيت طيفك فى عينها، هذا التصور مريح جدا. عندما أحدثك عن رقصى معها، كنا نرقص متلاصقين جدًا، حتى أنى أحسست بدوران دمها فى عروقها ووجدت نفسى كالمنوم تلذذا بأنفاسها اللاهثة ورائحة البيرة من أنفاسى تلفح شعرها، ثدياها كثدي منجمة وذراعها العارى يتلويان على صدرى. ولكن تشاجرنا أمس. فى وقت متأخر جدا. عرفت أن المرء يهندم نفسه من أجل أحد، يلبس ويتعطر من أجل أحد وأنا لم يكن لدى قط من أفعل ذلك من أجله وعندما غزانى الحب وجدتها. أنت الآن ميت. ميت منذ ثلاث سنوات. يا صديقى القديم الذى لم أره قبلا. هل شعرت بذلك معها! هل وجودها لون بالسحر حياتك! هذا التبدل فى حياتى أهمنى أى العالمين هو العالم الحقيقى. الإلهام لا يعطى إنذارا مسبقا. فجأة تشعر بالبرودة تغوص فى أعماقك عند الفراق. يندلع الصقيع أين تغادرني ويتكاثف الثلج الأزرق لو لم تعدنى بلقاء. ولكننا تشاجرنا أمس. لم أكن أعرف الفتاه التى حضنتها بقوه حتى بدت منها آهة وجع. لم تنفر من تصرفى الغريب بعد أن نزعت عنها ملابسها بهدوء ممل وطلبت منها أن تستلقى عارية. فضحكت ومالت على قضيبى واحتوته بيديها. رفعتها بهدوء وألقيتها على الفراش واحتضنتها كأنى أسكب فيها من دمى. احتضنتها بقوه، دفست رأسى بين نهديها حتى استرخى ذراعى حول وسطها. تركتنى أفعل بها كما أشاء. كنت أقبل جسدها كما يليق بعبد يمارس طقس مقدس. تشاجرت معها أمس. قالت وهى تداعب شعرى وتخرج سيجاره؛ "هل تشاجرت معها؟" رفعت رأسى

ولم أرد. ولكنى أكررها لك الآن، نعم تشاجرت معها أمس. لن تكتشف أبدا كيف وقعت تلك الفتاة بين يدى. كانت تحاول عبور الميدان وتوقفت فى منتصف مفترق طريق واسع خالٍ من العربات، بينما استندت الى عمود رخامى فى منتصف الميدان وعندما تلاقت نظراتنا توجهت إليَّ ووقفت قبالى، مرت دقيقة صمت. مسكت يدها الباردة واختارت هى مكانًا نمضى فيه ساعات الفجر متلاحمين. رفعت رأسى من بين نهديها واستمرت نظرة الابتسامة الساخرة فأكملت: "أتيت معك لأنك تشاجرت معها، أعلم ذلك" أشعلت السيجارة ونفست دخانها فى شعرى. هل ستخرج من عندى لتسامحها. استثارتنى هذه الكلمات. قضيبى المرتخى بين فخديها اشتعل، نفست دخانى فى جسدها. قسوت عليها حتى أذللتها. نعم تشاجرت معها بالأمس. ماذا تريدنى أن أفعل الآن. هل كنت ستسامحها لو غضبت عليك، لا أظن. لقد قرأت أوراقك وأعرفك منها كما أعرف يدى التى ما إن رأت نظرة الغضب فى عينها حتى انخفضت، لفح اللون الأحمر لشعرها وجهى فابتعدت، وأطفأت سخونة يدى على برودة العامود الرخامى. لم تهتم بقول ما فى مديح فحولتي كما تفعل العاهرات وقالت وهى تلملم ملابسها "طيب هناك شيء اسمه القلب البشرى، وما من أحد يعرف ما يجعله يخفق" أنت الآن ميت منذ ثلاث سنوات. ولكنك صديقى الذى وقع مثلى فى ديانة هى ربتها، ولكنك نجحت فيما فشلت فيه. واخترقت معبدها ووضعت قربانك فى قدس أقداسها. هل أتحمل كما قالت الفتاة أن انقطاع الرجاء راحة وأمل فى بعث جديد.

صباحك عندي أغلى من مال الهندي
وعشر جاموسات يحلبو عندي

في هذا الصباح استيقظت على صوت مصمصة شفتيها بقبضة يدها. حملقت في وجهها لأرتوى من كل ملامح البراءة التي تفيض منها. لن تسنح لك فرصة لتتأمل وجهًا خاليًا من تعبيرات الإنسان البغيضة. فقط الفرح والحزن، مشاعر الإنسان الفطرية، يتجسدان على بشرتها الوردية —كلٌّ على حدة— بالضحك والبكاء. عيون واسعة لا أعرف ممن ورثتهم. يوما ما سأتفرس في وجوه أفراد عائلتي لأعرف.

بعد هذا الصباح بسنوات، تحكى لي مدرستها عندما أصطحبها من المدرسة كيف أنها ظلت تصرخ فيهم وتبكى عندما أراد أحد المدرسين معاقبتها على الواجب المدرسي وتقول: "أيوه علشان عارفين إن هيمة مسافر عاوزين تضربوني عبثا حاولت أن أشرح لها أن عملي حتم على السفر فجأة ليوم واحد ولم يعرف أحد بالسفر فردت على وهى تمسح دموعها: "أمال عاوزين يضربوني ليه"

أسرعت ألقمها الحلمة فاحتوتها بكامل فمها الصغير والهواء خرج يقلقل داخل البرونة. أعجبني شربها اللبن بالمص وحركة عنقها الضعيفة. لاعبتها قليلا ولكنها شعلقت عينيها بمروحة السقف ولم تنتبه لملاعبتي. خرجت قطرات من اللبن على عنقها وأزاحت بلسانها الحلمة فعرفت أنها شبعت. جعلت تضرب الهواء بذراعيها وساقيها بعشوائية جميلة تعبر بهم عن السعادة والشبع.

قلقت في صباح يوم ألمحها في غرفتها أمام المرآة تتحسس مواضع ثدييها اللذين لم يبزغا بعد. ماذا أفعل؟ أيجب أن أسأل أنثى غريبة للتعامل مع هذا الموقف؟ من سيضمن لي أنها ستحنو عليها كأم؟

تنمو سمنة خفيفة تشي بأنوثة مبكرة. فارتعش من لمسها غير كما كان في طفولتها. ازداد قلقا ولكنها تتغلب على ذلك بالقفز على عنقي وتتحسس بفرح منابت الشعر في ذقني النصف نامية وتصرخ "بتشوك"، فأعدها بأن أجعلها أكثر نعومة.

قرأت لها، فالتفتت بعيونها الواسعة عندما قلت بصوت عال لأحاول أن أكون مضاحكا فيه -:

مع إن كل الناس من أصل طين \ وكلهم بينزلوا مغمضين \ بعد الدقايق والشهور والسنين \ تلاقى ناس أشرار وناس طيبين \ وعجبي[٢]

حركت فمي كمهرج وأنا أنطق كلمة "وعجبي" فضحكت بدون صوت على اتساع فمها الصغير. ألم أقل أن فرح الأطفال يحتوى على أفراح الدنيا كلها. قربت وجهي من ضربات يدها العشوائية فأمسكت قبلتي بأصابعها الرقيقة. فرددت وطبعت في باطن الكف قبلات كثيرة لا تنمحي. أتفحص تكوين لم يدخل في صراعات اللهث وراء المادة والحياة.

قد تأتي صباحا لا تحتاجني فيه. تذوب عشقا في آخر. أشعر بالغيرة عندما تخبرني أن أحدهم يريد مقابلتي. اختيارها الوقت صباحا قبل قراءتي للجورنال وإفطارها الفاخر لي وصوتها الخجل الذي ينطق الجملة مرة واحدة، اعرف —وتعرف هي أيضا من ابتسامة عيني— أن أحدهم ذاب عشقا فيها مثلي. يخبرني الفتى ذو العيون الواسعة أنه

---

٢ من رباعيات صلاح جاهين

كان يراقبها مبهورا ويلاحقها مقطوع الأنفاس، بحيث لا يدرك كيف لا يصاب العالم كله بالجنون حبا لحركة شعرها وطيران يدها ولحين ضحكها، فأبتسم.

أوصى الفتى ذو العيون الواسعة أن يقترب منها، لا يتركها أبدا، يتعرف على تعبيرات عيونها الواسعة البندقية، أن يتأملها جيدا كل صباح وهى نائمة وبهذا سيدوم حبه لها إلى الأبد...مثلي فيبتسم.

احتويتها بذراعي ورحت أغنى لها أغنيه أمي التي توارثتها مثل العيون الواسعة "صباحك عندي أغلى من مال الهندي وعشر جاموسات يحلبوا عندي" حتى أغلقت أهدابها ونامت. من قال أن المرأة فقط تحب كأم، الرجل أيضا يحب كأم أكثر منه كأب. ظللت أكرر لها الأغنية بهمس وأبطئ في هدهدتها. يجب أن تحفظها. إذا مت، كيف ستغنيها بذات النغمة لابنتها؟ في حركة لا إرادية — قبل ذهابها مع الملائكة — ظهرت قدمها التي لم تمس التراب وأصابع القدم التي لم تسجن في حذاء والكعب الأبيض الذي لم يحبس في جورب. أمسك قدمها بيدي وأقبلها وأفكر في المستقبل البعيد عندما يصبح من غير المعقول أن اقبل هذه القدم البضة.

في صباح يوم خرج الطبيب وأخبرني بوفاة والدتها أثناء الولادة وأن الطفلة يجب أن تحتجز في الحضانة. لم أستطع طوال شهرين كاملين أن ألمسها لأن الحاجز الزجاجي سمح لعيني فقط باحتضانها. لم يكن غيري ليكمل إجراءات دفن زوجتي وأيضا لم يكن غيري ليتسلم الطفلة الرضيعة.

في صباح مضى منذ سنوات، تيقنت أن هذه المرأة ستنجب لي أجمل فتاة في العالم. اقتربت منها لأول مرة وقلت لها ذلك بهمس من خلف أذنها. التفتت لي بعيون واسعة، مثل ابنتها تماما، ومرت لحظات صمت كثيرة تتعرف فيها على وردت بصوت خجل ومرة واحدة، مثل ابنتها تماما، "شكرا" ولم أكن أريد أكثر من هذا لأبدأ رحلتي معها ومع ابنتي.

ترى هل سيأتي يوم ستغلق فيه جفوني وتمليني الشهادة أم ستأخذها الدنيا ولن تعرف للصباح صباح؟

أنا مكان

أنا مكان حوائط بالطوب الأحمر والخرسانة المسلحة، سلالم عند البوابة وإلى الأدوار العليا.

أنا مكان كرانيش في السقف وسيراميك على الأرضية. ممرات ومداخل وأبواب.

أنا مكان أضم غرف نوم وصالون واسع ومطبخ بكامل ملحقاته وحمام غريب الشكل.

ماذا تريد أن تعرف أكثر من هذا؟ لماذا لا تصدقني وتقتنع أني مكان؟ هل تعتقد أني جزء من خيال كاتب أو أقصوصة يحكيها أحدهم لأصدقائه المساطيل، قد أكون — في نظرك — حكاية مرعبة ترويها عجوز لتخيف أطفال صغار بل حتى لتريح نفسك تعتقد أني فكرة داخل رأسك. ماذا أقول... قد أكون شقة في ناطحة سحاب أو فيلا على شاطئ البحر أو قصر مهيب تحيط به الحدائق إذا كنت لم تقتنع أني مكان فما فائدة أين أو كيف أنا موجود ؟ حاول أن تتقبل وجودي أولا وبعد ذلك اسأل كما شئت أعرف أنك تحاول أن تسألني سؤال لا يخطر على بال لتتأكد من شخصيتي.

- ماذا تريد؟

- آهذا هو السؤال... لا أريد شيئا سوى الحكى فأنا وحيد لا أجد مكان مثلي لكي أحادثه نعم هناك أماكن أخرى لها تاريخ وحيوات ولكني لا أجد أحد منهم هنا حتى أحادثه أو أعرف أخباره.

- هل لكم حياة وحيوات؟

• نعم ماذا تظننا جوامد هل يعنى أننا لا نتحرك... أننا جوامد... هل يعنى أننا لا نأكل أو نشرب مثلكم...أننا جوامد... هل تظن أننا لا نرى بعيون مثلكم ولا نسمع بآذان مثلكم أننا جوامد هل تظن لأنى وحيد أحقر من نفسي وأتنازل وأحادث واحد منكم أيها البشر.

• لا تغضب لم أقصد تحقير، إنما قصدت معنى كلمه حيوات، فنحن البشر لنا حياة واحدة على الأرض وأخرى في السماء، في الآخرة؟

• حسنا... آرك تقبلت فكرة أنى مكان... الحياة معناها، عندنا، هي كل شئ يحدث ويقال ضمن وجودي. بالبناء أولد وبالهدم أموت إذا حدث وأستخدم في البناء شئ من بقايا الهدم السابق في نفس حيز وجودي السابق تولد حياة أخرى ممتدة من حياتي السابقة وهكذا يكون لنا حيوات.

• و أنت هل لك حيوات

• للأسف الشديد...لا فمن بنوني هنا لم يستخدموا أى شي حتى ولو طوبة واحدة من أى مكان سابق إضافة لعدم إحاطتى بأى من الحدائق والأسوار... فقط رمال صفراء على امتداد البصر هكذا سمعت من الرجل الذي يسكنني الآن. جلس على الباب يستريح يوما كاملا وحينما دخل غرفة النوم نام يومين بالتمام والكمال وعندما استيقظ كان عطشان فأوحيت إليه بنبات بالقرب منى يختزن الماء.

• أتوحى؟

• نعم ليس هناك مشكلة على الإطلاق في هذا... يكفى أن يكون الشخص لا يفكر في شئ وهذا الرجل لم يفكر حتى في عطشه فأوحيت له بنبات يختزن المياه فى الحديقة. كان رث الثياب بطريقة فظيعة حالته تدل على معاناة رهيبة في الصحراء والرمال الصفراء.

• تقول وحيد وتريد أن تتكلم... فلماذا تكلمني أنا؟

• ألا تعرف معنى الوحدة، من بنوني ذهبوا، أتى ناس من كل بقاع الدنيا وذهبوا وأتى آخرون وذهبوا. كل هؤلاء يتكلمون اللغات مختلفة ولا يجمعهم إلا خيط واهي سبب مجيئهم هنا ولكن حالما ينقطع ذلك الخيط، يذهبوا، كل فترة أناس غرب وأحداث غير منطقية وتصرفات عجيبة حتى تعبت. فلا أحيا حياة طبيعية أو حتى أجد مكان آخر أشكو له فلم أجد غيرك... الوحدة يا صديقي... الوحدة.

– أه... الوحدة... اعرفها... أذن فلتحك لي عن الرجل القادم من الصحراء لنتسلى عن هذه الوحدة.

• حسنٌ... هذا الرجل لا يشبه أى مما سكنوني قبلا، لا في اللغة أو الشكل أو الملبس ولا حتى في الخيط الواهي الذي يربطهم. اعتقدت في بادئ الأمر بعد ما استراح ونام أنه أعمى فلم ير ما في المطبخ من طعام أو ما في غرف النوم من ملبس ولا حتى دخل الحمام ليشرب – رغم أنى لا املك ماء كما قلت لك – أخرج من تحت

قميصه أوراق صفراء مهترئة وجلس على الأرض. يقرأ ويقرأ. فأدركت أنه ليس أعمى.

– أغبي هو ! رجل عانى في فيافي لا ترحم ويقراء ماضي ويترك ما لذ وطاب وكل ما توفره له يا سيد مكان من حاضر ومستقبل!

• فكرت في هذا أيضا... ولكن القراءة من ماضيه لا تجعله غبيا يا سيد بنى آدم وبما أنه منكم فأكيد يمتلك عقل يفكر...لا.. لا أرتاح لكونه غبيا... ماذا يا ترى حدث له جعله يتصرف هكذا؟

– قد يكون ماض مؤلم بدرجة كبيرة أنساه حاله الآن.

• وإذا كان... فحاله الآن يستدعى أن ينسى ماضيه وإلا مات وحيدا فلن يغيثه أحد هنا... ألم أقل لك... الصحراء... الرمال الصفراء.

– إذا أوحى إليه ونبه.

• لا ليست فكرة طيبة...فانا أوحى فقط بأشياء بسيطة. بسيطة بما يكفى لكي لا يشعر بها تغزو عقله، أما التنبيه وفكرة معقدة كتلك سيعتقد أنه مجنون فحالته من معاناة أفقدته جزء من عقله... إيحائي سيزيد الطين بله لماذا لا تحاول أنت؟ بما أنك بنى آدم مثله.

– أنا أيضا لا أصلح فأنا لا أعرف مأساة ماضيه ولا أعرف إمكانياتك وما يتوفر عندك حتى أدله عليه... قد يسبب اقترابي منه نفور ولا أستطيع أن أعبر عن ما يصلح حاله فيفقد ما بقى من عقله.

• ليس أمامنا إلا هو... إما أن يفيق ويعي ما حوله من طعام وملبس وماء وإلا مات وأنا لا أحب أن يموت أحد بداخلي

لا أريد أن أكون مقبرة!

نهاية الأشياء السرية

رأيت أضواء لألعاب نارية تدوى من خلال الزجاج المغبش لقارورة زجاجية حبسنى فيها جنى، يشبه "الأشكيف" الذى يظهر فى فوازير تلفزيونية قديمة يلبس بذلة أنيقة من طراز "أرمانى" حاولت تخيل أصوات الفرقعات فظهرت مكتومة فى سماء سوداء تضوى بخيوط خضراء تتراقص. نفخ الجنى فى القارورة فتناثر الزجاج من حولى ولم يخدشنى، تصاعدت رائحة الغاز المسيل للدموع ولم أحس بها إلا عندما فركتُ عينى، فلبست كمامه وابعدت شظايا زجاج معلقه بالهواء بيدى فى مشهد بطولى[٣]

العالم لسوء الحظ حقيقى، وأنا لسوء الحظ، أسير التجربة مقطع الأوصال. أنتم يا من تسمعون صوت أفكارى تدوى فوق المنابر وتحت فى الأقبية. كنت فى ظلمتى الخاصة، ولم أدر وقتها، أن النهار قد لاح أو أننا مازلنا فى عتمه الليل. أنتم وأنا حقيقيون بما يكفى لنكون عرائس ماريونت. فى ظلمتى تغير المسرح ولكن، يا للغرابة، بقيت مقاعد الجمهور فى أماكنها.

استقرت إحدى الشظايا فى راحة يدى وتحولت الى قارورة كالتى كنت بها، فارغة، ظللت أحدق فيها بدون أى نية لاكتشاف شئ، فوجدت انعكاس لوجهى الذى يشبة "الأشكيف"، فزعت وتركت القارورة تقع ببطء، تكسرت الى سيوف وأنصال، قطعتنى وبعثرتنى فى مداخل ميدان التحرير، لملمت نجاة قطعى المتناثرة ووضعتها فى ماء بارد مقدس مع قليل من البهارات، فصنعت من الخليط مرهم دهنت به ما بين فخديها، فاصبحت انا.

---

[٣] أصرت نجاة على وصفى بالبطل

أنت بسهولة تسطيع ان تميز شخص مقطّع الاوصال ليس لأن الله ألصق ذراعيه، مرة أخرى بالغراء، وبدل اليد اليسرى مكان اليمنى، وليس لأنه ينظر لك بإحدى عينية بموات، والأخرى بثبات، على غير عادته. بل لأن صوته ارتفع بالذكر:

حيييييي..... مدددددددددددد...

وحتى لو حدث ذلك فلم يدر هو نفسه بأن قلبه ارتفع إلى بلعومه ولن تجدى محاولات طعنه بخنجر فضى لإحيائه مرة أخرى.

انتشلنى قرد ميلان كونديرا من بحر غامض متلاطم، ساعدنى على الجلوس على صخرة بيضاء قرب الشاطئ وظللنا نحدق فى ألوان البحر السبعة وقال: "قد تصدقنى عندما أخبرك أن كائنات بلا حكاية، كائنات تظل فى العدم، فنحن نعيش فى عالم رائع وغريب، فعمره وحجمه والعنف الذى يحتويه وجماله، يتطلب خيالا فوق العادة لإدراكه"، عقبت على حديثه –كأننا فى محاورة تحت تأثير الحشيش– وقلت "الأمر بمنتهى البساطة أن لكل شخص هناك حكاية ولا تستغرب أن تسمع كل شخص يروى حكاية عن شخص آخر بدلا منه، تلك حيلة أخترعها البشر من قديم الأزمان، لأنه فى النهاية يحكيها لك وليس لنفسه"

لمست قدماي أرضية باركيه حجرة مكتبتى، أعجبنى ملمس الخشب فضغطت أكثر بباطن قدمي حتى طبعت أثر تجول فى أنحاء البيت وداخل جميع الحجرات، حتى تلك الحجرة المسماة بالشك، وجدت بها ضوءًا أبيضًا خفيفًا متغلغلاً فى ستائر تهتز مع خلفية قمم قصر شمبليون. وجدت أيضا جماعة من المهرطقين يجلسون مسترخيين فى الركن المعتم من

الغرفة، حاولت الذهاب لهم فتذكرت البحر والقرد، اقتربت أكثر فوجدت أبى بينهم ويشاور عليَّ، وعندما جريت للجانب الآخر وجدت أمى وإخوتى وبينهم أبى يشاور عليَّ أيضًا.

لم أكن أريد أن أخرج من هذه التجربة وعلى جسدى غراؤها دواء لجروحى وفى ذهنى تدوى أصواتها. أن الأقدار لا تعطينا ما نسعى خلفة، لذا فالأقدار وهم، لم نصنعه بأنفسنا، أنتم لا تعرفون ما أستطيع فعلة، حتى وأنا مقطع الأوصال، تظنوها محض تفاصيل قد تبطئ من دوران العجلة أو تسرعها ولكن لا توقفها، أما أنا أستطيع أن أفعل أكثر، أن أجعلها تنحرف.

فعندما صارعت جلجامش على أبواب مدينة آور القديمة، لم أستطع أن أتغلب عليه، فحنوت وجعلت نبض قضيبى يلمسه فانحرف إلى طريقى. هل تفهمنى؟ هل فهمت أنا نفسى؟ هنا شعر الجنى أنى أجدف فالتهمنى ولبست فى بطنه بضع سنين.

هناك وجدت نساءً كحور العين، نساءٌ لا تستطيع وصفهن لفرط جمالهن فلهذا نطلق عليهن حور العين، شبقات، ناعمات، بضات، هذا من بعض ما فيهن. ظللت أسبِّح بحمدهن حتى لفظنى الجنى. روعتنى الطريقة التى نطق بها إسمى ولفظنى بها. كانت نجاة معذورة، لا تعرف كم لبست فى بطن الجنى، لعقت جروحى لتخفف ألمى حتى شفيت وعندما هممت بها وهمت بي، فاجأنا سيد القصر ومعه الجنى محبوس فى قارورة. فقدَّ قميصى من دبر ليمنعني عن نجاة.

حتى الأن إيمانى الوحيد أن مضاجعتى لنجاة هو نهاية الأشياء السرية

البطل الوحيد

ما دمت ستكون البطل الوحيد فى كل ما أشعر به الآن. فهذه هي البداية، يعتقد كثير من الرجال أنهم قادرون على فعل أي شيء. يظنون أنهم امتلكوا العالم، ينشرون رائحتهم الذكورية على كل أنثى، ولا تهمهم في شيء فور تلطيخها بروائحهم. ولكنى أحب رائحتي، رائحتي الأنثوية التي تغويهم وتضعهم تحت رحمتى. أعرف كيف أستمتع بالجنس، كيف أحصل على ما أريد منهم. أسعى لنفسي كما لم أحققها من قبل.

لم يعرفني أحد كما أنا[٤] منذ كنت طفلة صغيرة، إلا من خلال جسدي. كل ما أذكره في المرة الأولى هو عصر ثديي بقوة، لم يهتم بجسدي إلا في حدود استمتاعه، راقبته وهو يعصر ما بين فخذى بكفه الخشنة، راقبته وهو يفك بنطاله في لهفة ويخرج قضيبه ويطعنني به، تابعت تقلصات وجهه، وتساءلت هل النشوة ترافقها كل هذا الألم؟ لم أكن أهتم بعذريتي التي فضضتها بالعادة السرية. بعدما بان على وجهه ارتخاء، لمست ملابسي من حولي وجريت، جريت سريعًا كأني بوهم أنه يطاردني ليمزق ملابسي، ويدعك بلسانه بطني وظهري، يعقص شعري ويشده بقوة، شعرت بتيار الهواء يحوطني ويحتضنني، لم تفارقني ذكرى الدَّراجة التي عرفتني معنى اختراق الهواء

---

[٤] ولدت نجاة فى العشرين من شهر مايو، فى نفس يوم ميلادى، وفى السنة التى كانت بها أول إكتشافاتى الجنسية، رأيتها مرتان، الأولى منذ خمس سنوات، والثانية يوم كتابتى هذه القصة وتلك كانت الأفكار التى أظن أنها كانت تحول بخاطرها، عندما انتهت من طبع رائحتها الأنثوية عليّ، ساعتها حاولت بكل خلاياى الرمادية وخبراتي القليل وثقافتى المحدودة، أن أعرف ماذا يمكن أن يحدث فى خمس سنوات ليحول الجمال والبراءة الى هذه المخلوقة التى تتسم بالقسوة والجبروت بنعومة مغرية ومدهشة.

لجسدي، جريت إلى البيت، ووقفت في منتصف الصالة أدعك جسدي بنظراتي، أشم بقايا رائحة ذكورته بنهم الجائعة، شعر قلبي كأن عضلات جسدي غير مرتاحة، فلم أعرفه ولم يعرفني، غطست في البانيو، وهناك تحت الماء عاهدت نفسي على مبايعة هذا الرجل الذي يستنشق رائحتي على مهل ويطعمني من ذكورته على مهل. من يشعر بجسدي ويعطيني حقه! دائما كنت أظن أن قلوب الرجال داخل قضبانهم حتى شعرت بك داخل جسدي. ملأتَ فراغًا يتزايد مع كل رجل يتركني جوعى، ويقضم منى قطعة ويتركها غير مهضومة. معك عرفت معنى الشوق، كنت أفكر فيك كثيرًا، أوضب فراشي كل يوم استعدادًا لاستقبالك، أمشي في شوارع جميلة حتى أقابلك صدفة فتكون للذكرى طعمك.

"عندما انتهى الوقت عرفت أنه انتهى، دون أن أنظر إلى الساعة المعلقة على الحائط، أعرف هذه الأشياء حين تحدث" صحوت وفكرت في حُلم آخر. وفيه وجدتني أنظر بفرح إلى صورتنا ونحن نضحك بصوت عال. لا أعرف لماذا أصر على البحث عنك مصادفة، أحلامي تقول هذا ولكنى أصدق طعم لقياك مصادفة. "ليكون شأننا في ذلك شأن المجاذيب، ومدمني المخدرات، والمؤمنين بالأديان السماوية "

ضيوف لهم ذاكرة ضعيفة

هناك ذكريات لا تهدأ إلى أن يتم نشرها بالقلم أو اللسان، ومع ذلك لا يمكن مقارنة ذلك بقصة مليئة بالمحذوف. أنت لا تعرف الحذف الذى فعلة الكاتب ولكن عندما تنتهى من قصة مثل هذه، عندما أصل إلى النهاية، يبقى المثير هو أن أغمض عينى وأستدعى كل الأشياء التى لم أجدها فيها. وقتها أستدعى ضيوفا تم طردهم نبذهم من القصة وأتحاور معهم وأحاول أن أعرف منهم لماذا حذفهم الكاتب ولن أقول لك جمال اكتشافاتى حينها. الحقيقة أن كل شيء يمكن العثور عليه عند هؤلاء الضيوف. هذه هى الطريقة التى أملأ بها ثغرات الآخرين، وبنفس الطريقة يمكنك ملؤ ثغراتي. نعم، أحسست بنبضات فى جسمى تتردد عندما رأيتها أول مرة. دخلت المحاضرة متأخرا وجلست خلفها تماما. وقعت فى لحظات شرود لم أتبين كنهه (ظننته لأول وهلة توتر بسبب دخولي المحاضرة متأخرًا). الإحساس كان قوى ومليء بالانجذاب. لم أكن لأخدع فيه. أعادنى صوت المحاضر إلى نبضة أخيرة خافتة أسفل بطنى. كانت فى هذا الصباح حلوة. دعني أفكر فيها على هذا النحو. حلوة. بهذا الضوء المتآمر من خلفها. ولكن ما دامت الأبواب لم يكن لها مفاتيح ولا أقفال، لم يكن من الضرورى إلا فتحها، دفعتها نجاة ودخلت، وجدتها هنا فى الداخل. أدارت نجاة ظهرها لي وواجهت المرآة، دعتنى لألمس شعرها، فأمسكته وضممته فى كف يدى وبدأت أسرحه بمشط عاجى، من جبينها وإلى نهاية أطرافه والتي وصلت إلى أسفل الكتف بقليل.. طلبت منها أن تجلس وواصلت لمس شعرها بعناية فائقة. كانت أصابعى تمر برفق على عنقها أو كتفها. كان الإحساس حلوا. كأنى

أتذوق على مهل من خلال أصابعى. ببطء شديد فرقت الشعر إلى كتلتين وأمسكت بكل يد بإحداهما. هنا توقفت ونسيت، فأنا لى ذاكرة ضعيفة

ليس مجرد شكر لهم وإن بدا كذلك

أسماء يس، محمد أبو الدهب، محمد عبد النبى،

أحمد شافعي

التعريف بالكاتب

مواليد ١٩٧٨ حدائق القبة، القاهرة
بكالوريوس كلية علوم جامعة عين شمس، قسم كيمياء وفيزياء.

- صاحب ومؤسس مرصد البوابة الثقافية.
- عضو مؤسس فى الفن ميدان.
- مؤسس

١. يوم للشعر، استجابة لدعوة عالمية لإلقاء الشعر من ١٠٠ ألف شاعر على مستوى العالم من أجل التغيير.
٢. يوم للسرد المصرى بعنوان مائة كاتب وروائى فى مئوية نجيب محفوظ..

- شارك فى فريق عمل إدارة مهرجان الأقصر للسينما الأفريقية فى تنظيم الدورة الأولى بمدينة الأقصر.
- قدم ورقة عمل بعنوان "علاقة الجماعة الثقافية بالسلطة فى مصر قبل وبعد الثورة " فى برلين نوفمبر ٢٠١٣ خلال ورشة عمل أكادمية بالجامعة الحرة بألمانيا
- يعمل الأن على بحث بعنوان "تطوير المؤسسات الثقافية الحكومية" بتمويل ومنحة من المورد الثقافى

المحتويات

عنى	٩
ثلاثة تمارين كتابة لميلان كونديرا	١٣
ألف ليله وليلة	١٧
روابط	٢٣
طائر تبدو عليه ملامح القداسة	٢٩
لا شيء ولكن ذلك أفضل	٣٩
مرت سنة	٤٥
الإذن بالكتابة	٥٣
الرجل المشهور والرجل العادى	٥٩
أتعرف ماذا فعلت	٦٣
علاقة ملتبسة	٦٩
صباحك عندى أغلى من مال الهندى	٧٣
أنا مكان	٧٩
نهاية الأشياء السرية	٨٥
البطل الوحيد	٨٩
ضيوف لهم ذاكرة ضعيفة	٩٣

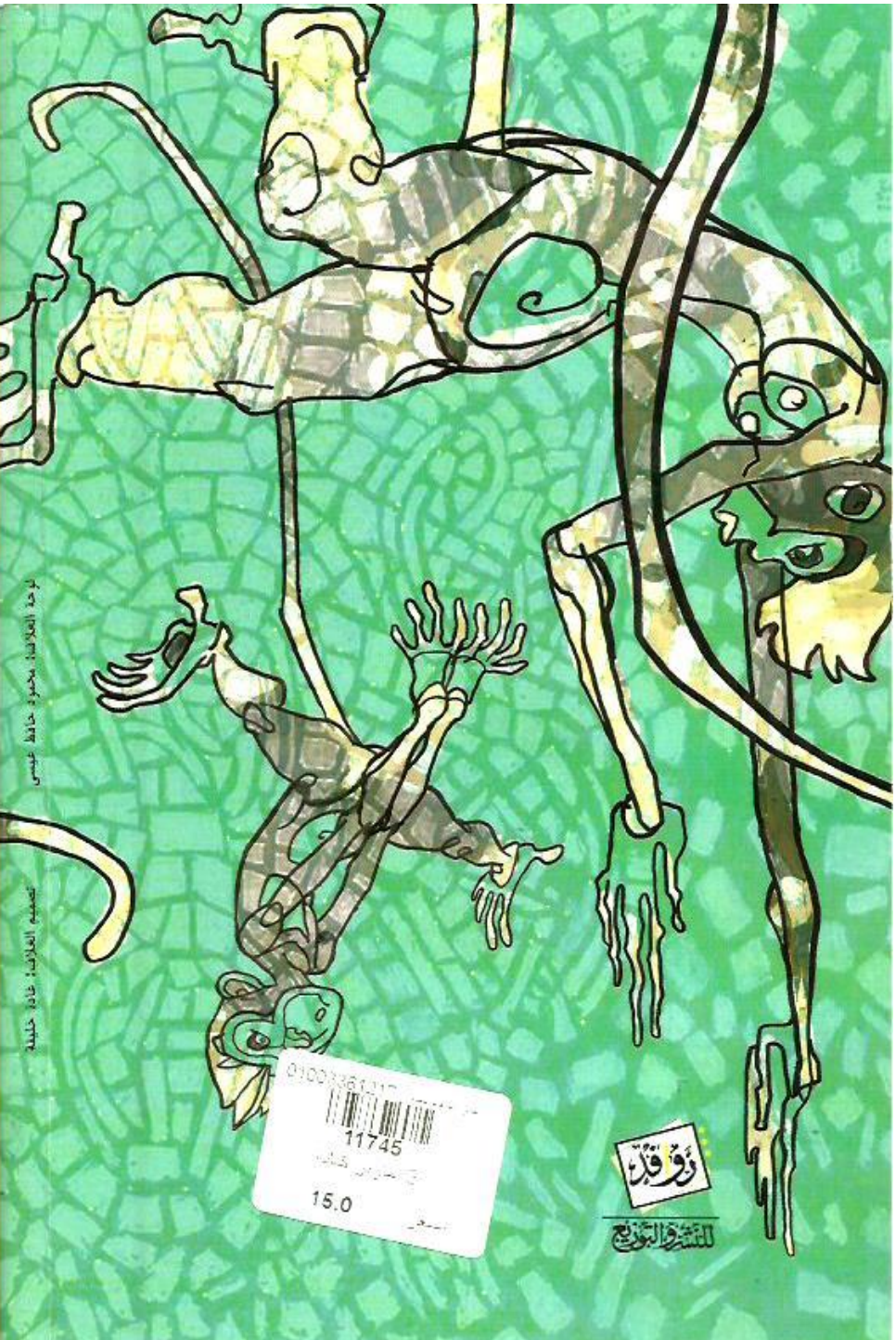

لوحة الغلاف: محمود حافظ عيسى
تصميم الغلاف: عادل خليفة
روافد للنشر والتوزيع

11745
15.0